(١١) د.عبد العزيز حمودة (عالم المعرفة)- العـــدد ٢٩٨- نـــوفمبر ٢٠٠٣- دراسة في سلطة النص.

(١٢) د. علي عشري زايد (استدعاء الشخصية التراثية فـــي الـــشعر العربـــي المعاصر)- منشورات الشركة العامـــة للنـــشر والتوزيـــع والإعـــلام- طرابلس ج.ع.ل.أ.

(١٣) د.قاسم عبده قاسم (مجلة فصول)- المجلد الثالث -العدد الثاني -١٩٨٣.

(١٤) د.محمود الحسيني (تيار الوعي في الرواية المصرية المعاصرة) - الهيئة العامة لقصور الثقافة – ١٩٩٧.

(١٥) د.محمد حماسة عبد اللطيف (الجملة في الشعر العربي)- مكتبة الخانجي – القاهرة- ١٩٩٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدخيـــل في التفســـير بالـــرأي

دكتـــور

محمد إبراهيم عبد الحليم محمد

مدرس التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

جامعة الأزهر ببني سويف

مجلة كلية دار العلوم العدد الخامس عشر - يونيو ٢٠٠٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدخيـــل في التفســـير بالـــرأي

دكتور/ محمد إبراهيم عبد الحليم محمد

مدرس التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

جامعة الأزهر ببني سويف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقدمة

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وخاتم النبيين، ورحمة الله للعالمين؛ سيدنا محمد، وعلى آله، وصحابته الطاهرين الطيبين.

أما بعـــــد،،،،،

فقد أنزل الله تعالى كتابه الكريم على قلب رسوله الأمين، وتعهد بحفظه من التبديل والتحريف، فقال جل شأنه (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)(١).

وقد حاول أعداء الإسلام مراراً وتكراراً تحريف القرآن عن مواضعه؛ من خلال تأويل ألفاظه، وتحريف معناه، ولكن الله تعالى هيأ لكتابه ــ على مر القرون ــ صفوة من العلماء، بحثوا في تفسيره، وبينوا ما فيه من زيف، وكشفوا عما علق به من عبث، فنفوا عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

ومع عناية العلماء قديماً وحديثاً بدراسة الدخيل في التفسير إلا أن معظم الدراسات التي كتبت في هذا الشأن قد تناولت الدخيل في التفسير بالمأثور، وقل

---

(١) سورة الحجر آية رقم (٩).

من تعرض من العلماء للدخيل في التفسير بالرأي، بل إني لم اطلع على بحث مستقل في دخيل الرأي. ولهذا فقد عزمت على أن أفرد بحثاً مستقلاً، أتناول فيه بالدراسة قضايا الدخيل في التفسير بالرأي. فاستعنت بالله تعالى، وكتبت هذا البحث المتواضع. تحدثت فيه عن التعريف بعلم الدخيل، ونشأته، وتطوره، وعن أنواع الدخيل في التفسير، والأسباب الحاملة علية. ثم تحدثت – بعد ذلك – عن نشأة الدخيل في التفسير بالرأي، وتاريخ تطوره، وصوره.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة. ذكرت في المقدمة خطة البحث، وسبب أختياري له. وعرفت في التمهيد بعنوان البحث. ثم تحدثت في المبحث الأول عن التعريف بعلم الدخيل. وأما المبحث الثاني فقد تحدثت فيه عن نشأة الدخيل، وعوامل انتشاره في كتب التفسير. ثم تحدثت في المبحث الثالث عن التعريف بالدخيل في التفسير بالرأي، وبيان صوره. أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتي، وأن يكرمني فيه بالقبول، وأن ينفع به المسلمين، إنه سميع قريب.

****

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في شرح عنوان البحث

يتكون عنوان هذا البحث من عدة مصطلحات، وهي (الدخيل، التفسير، الرأي) وإتماماً للفائدة، وحتى يكون القارئ على دراية تامة بموضوع البحث فإنه يحسن أولاً أن يتعرف على هذه المصطلحات، ثم يتعرف بعد ذلك على علم الدخيل في التفسير، وعلى نشأته، وتطوره. فإليك بيان ذلك.

تعريف الدخيل:

التحليل اللغوي لمادة الدخيل:

الدخيل: فعيل. مأخوذ من الدَخْلَ. والدخْلُ: خلاف الخَرْج. والدخول: نقيض الخروج. وهو يستعمل في المكان والزمان والأعمال، كما يستعمل في الأشخاص والألفاظ والمعاني[1].

وترد هذه المادة في اللغة على عدة معان: فيطلق الدخل على الداء والعيب والفساد الداخلي، يقال: نخلة مدخولة: أي عفنة الجوف.

ودَخَلَ أمره: فسد داخله. ودُخِل القمح ونحوه: سوس. كما يطلق الدخل على الغدر والمكر والخديعة والريبة والدهاء. ومن كلامهم: ترى الفتيان كالنخل وما يدريك بالدخل.

---

(١) انظر الصحاح في اللغة للجوهري ١٦٩٦/٤. مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني (١٦٦). مادة (دخل)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال تعالى: (وَلاَ تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ) [1] أي مكراً وخديعة.

والدخيل في القوم من انتسب إليهم وليس منهم.

كما يطلق الدخل كذلك على الشيء الذي يدخل في الشيء، فيختلط به، وهو ليس منه. ويقال: دخل فلان فهو مدخول: كناية عن بله في عقله، وفساد في أصله. والكلام يذكر استطراداً، وليس له أصل فيه دخيل عليه. والدخل: باطن الشيء. والدخالة من الإنسان: نيته. والدخول: كناية عن الإفضاء إلى المرأة. قال تعالى: (وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ)[2].

وأما الدخيل في الاصطلاح:

فهو تفسير القرآن بمأثور غير صالح للحجية، أو برأي فاسد.

فقولنا: تفسير: جنس في التعريف يشمل كل تفسير، فيدخل في ذلك تفسير القرآن وغيره. وإضافة القرآن إلى التفسير: قيد خرج به كل تفسير غير تفسير القرآن الكريم.

والمأثور: هو المروي عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين[3] وهذا قول عام، فيدخل فيه الصحيح والضعيف من المرويات المأثورة في تفسير القرآن الكريم.

---

(١) سورة النحل آية رقم (٩٢).

(٢) يراجع لسان العرب لابن منظور ٢٥٧/١٣، الصحاح ١٦٩٦/٤، مفردات غريب القرآن (١٦٦)، القاموس المحيط للفيروز ابادي ٣٧٥/٣. مادة (دخل). والآية رقم (٢٣) من سورة النساء.

(٣) الأثر عند جمهور المحدثين – كالحديث والخبر – يطلق على ما أضيف إلى النبي ﷺ وما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمأثور الذي لا يصح للحجية: هو الروايات الضعيفة والموضوعة، المروية عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين. وهذا قيد في التعريف، خرج به التفسير بالروايات والآثار الصحيحة؛ المروية عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين، فإن هذا النوع من الأصيل المعول عليه في التفسير.

و(أو) في التعريف للتنويع، فإن الدخيل في التفسير نوعان؛ أحدهما: الدخيل في التفسير بالمأثور. والآخر: الدخيل في التفسير بالرأي.

والتفسير بالرأي: هو تفسير القرآن بمطلق الاجتهاد، من غير توقف على التفسير بالمأثور.

والمراد الرأي الفاسد: تفسير القرآن بالرأي من غير استيفاء الشروط، وتحصيل العلوم، وتوفر الملكات اللازمة لذلك. وذلك هو التفسير بالرأي المذموم، ومنه التفسير بالهوى والاستحسان، والتفسير المقصود به تأييد المذهب الفاسد، وتفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

المناسبة بين المعنى اللغوي والتعريف الاصطلاحي للدخيل:

المناسبة بين المعنى اللغوي والتعريف الاصطلاحي للدخيل ظاهرة، فإن الدخيل في اللغة يدور فلكه على محور واحد، هو العيب والفساد الداخلي، الذي تسلل ــ بقصد العداوة مع ضعفه ووهنه ــ بالمكر والخديعة والدهاء إلى غير أصله، كالوافد الذي تسلل من الخارج، وليس له أصل في المحيط الذي تسلل إليه، وادعى أنه ينتسب إليه، حتى اختلط بالأصيل من أهله.

=أضيف إلى الصحابة والتابعين. قال النووي: وعند المحدثين كل هذا يسمى أثراً. راجع تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي ١/٢٢٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والدخيل في التفسير: لا يخرج عن هذا المحتوى اللغوي للكلمة، فهو عيب وفساد داخلي اجتهد صاحبه – غالباً – في دس حقيقته، وإخفاء أمره في ثنايا الأصيل من تفسير القرآن الكريم، بحيث نحتاج في دركه والكشف عن عواره إلى بذل شيء من التأمل، يتميز لنا من خلاله الأصيل من الدخيل في التفسير[1].

تعريف التفسير:

التفسير في اللغة: مصدر، مأخوذ من الفسر – بالتشديد – بمعنى البيان والكشف، وهو يستعمل في كشف المعاني المعقولة، والمعاني المحسوسة[2].

وأما التفسير في اصطلاح المفسرين فهو: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم، من حيث دلالته علي مراد الله تعالي بقدر الطاقة البشرية[3].

تلك هي مصطلحات عنوان هذا البحث، وبمعرفتها يكون القارئ على دراية بموضوع البحث. وأما التعرف بعلم الدخيل، والتعرف على نشأته، تطوره، فهذا ما سنعرض له في المبحث الآتي بمشيئة الله تعالى.

****

---

(١) انظر الدخيل في التفسير للدكتور إبراهيم خليفه (٢٢).

(٢) القاموس المحيط ١١٤/٢، لسان العرب ٥٥/٥، المفردات (٣٨٠) مادة (فسر).

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٣/٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول

التعريف بعلم الدخيل

علم الدخيل: هو علم يبحث فيه عن التفسير الخاطئ للقرآن الكريم، وعن كل ما يتوصل به إلى ذلك.

أقسام الدخيل في التفسير:

ينقسم الدخيل في التفسير إلى قسمين: دخيل في التفسير بالمأثور. ودخيل في التفسير بالرأي.

فالدخيل في المأثور ــ وهو ما يسمى بالدخيل في المنقول ــ تفسير القرآن بمأثور غير صالح للحجية. والمؤلفات في هذا النوع كثيرة، غير أنه خارج نطاق هذا البحث، فلا حديث لنا فيه.

وأما الدخيل في التفسير بالرأي ــ وهو ما يسمى بالدخيل في التفسير بالمعقول ــ فهو تفسير القرآن بالرأي من غير استيفاء الشروط، وتحصيل العلوم، وتوفر الملكات اللازمة لذلك. وذلك هو التفسير بالرأي المذموم، ومنه التفسير بالهوى والاستحسان، والتفسير المقصود به تأييد المذهب الفاسد، وتفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى. وهذا النوع هو صلب هذا البحث وعماده. وسيأتي الحديث عن هذا النوع بإسهاب في موضعه من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

****

نشأة علم الدخيل وتطوره: علم الدخيل علم قديم وحديث في آن واحد. أما كونه حديثاً فإن ذلك من حيث العنوان الذي يعرف به الآن، ومن حيث جمع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مباحثه المتناثرة في كتب علوم القرآن والسنة، واستقلال موضوعاته. فإنه من هذه الحيثية من العلوم المستحدثة، وذلك أن جامعة الأزهر الشريف رأت – منذ فترة وجيزة – إفراد هذا العلم بالدراسة، وإعطاءه اسماً يتميز به عن غيره من علوم القرآن، وجعلوه علَماً على هذا الفن خاصاً به.

وأما كونه قديماً فإن ذلك من حيث معالجة مسائله، وتناثر مباحثه في كتب علوم القرآن والسنة، فإنه من هذه الحيثية علم قديم، يعود إلى عصر نزول القرآن الكريم، على قلب النبي ﷺ ذلك أن الدخيل قد ظهر في التفسير في حياته عليه السلام، سواء أكان ذلك عن قصد خبيث، بسبب الإلحاد المتعمد، الذي يهدف إلى الانتصار لعبادة الأصنام، وإسقاط حجية القرآن الكريم، وتكذيب النبي ﷺ أم كان نتيجة الفهم الخاطئ من بعض المسلمين لبعض الآيات، مع حسن القصد وسلامة النية. كما سيأتي تفصيله في موضعه، بمشيئة الله تعالى.

وأول من تصدى لتنقية تفسير كتاب الله تعالى من الدخيل هو من أنزله تباركت أسماؤه، وتقدست صفاته، وذلك حين قضى بنفسه على شبهات المشركين من أهل مكة، وأهل الكتاب المعاصرين لهﷺ[1].

ومن ذلك: ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: لما نزل قوله تعالى(**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون**)[2] قال المشركون: فالملائكة وعزير وعيسى يعبدون من دون الله، أكل أولئك في النار مع آلهتنا ؟! فنزلت (**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون**)[3].

---

(١) انظر الدخيل في التفسير للدكتور إبراهيم خليفة (١٠).

(٢) سورة الأنبياء آية رقم (٩٨).

(٣) سورة الأنبياء آية رقم(١٠١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم تصدى له رسول الله ﷺ حين واصل هذا المنهج المبارك من إدحاض شبهات أعداء القرآن من هؤلاء وأولئك، ثم حين نبه أصحابه على بعض ما وقع لهم من خطأ الاجتهاد في فهم بعض نصوص القرآن الكريم.

ثم واصل أصحاب النبي ﷺ والتابعون من بعدهم التصدي للدخيل في التفسير، فردوا الأحاديث الموضوعة، ودفعوا ما وقع على بعض نصوص القرآن من إشكالات، وما يقع في تأويلها من الفهم الخاطئ. وذلك كما فعل عمر رضي الله عنه، حين تصدى لاجتهاد قدامه بن مظعون الخاطئ في فهم حل الخمر للمؤمنين الأتقياء المحسنين من آية المائدة[1].

ثم صار علماء الأمة، وأعلامها على هذا المنهج المبارك في التصدي للدخيل في التفسير والسنة على حد سواء. فألف أبو عبيده؛ معمر بن المثنى كتاباً في مجاز القرآن، على إثر سؤال وجه إليه في مجلس الفضل بن الربيع ــ أحد وزراء المأمون ــ عن معنى قوله تعالى(طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) [2] وكيف يُشبه الطلع برءوس الشياطين، وهي لم تعرف بعد؟ فأجاب أبو عبيده: بأن الله تعالى إنما كلمهم بذلك على قدر كلامهم، وهو على حد قول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فالعرب عادة ما تشبه قبيح الصورة بالشيطان أو الغول ــ وإن لم يروها ــ لاعتقادهم أنهما شر محض، لا يخالطهما خير، فاستحسن السائل ذلك الجواب. فقام أبو عبيده من فوره وتقصى ــ جهد المستطيع ــ ما ورد في

---

(١) سوف يأتي تفصيل ذلك في الحديث عن صور الدخيل في التفسير بالرأي إن شاء الله تعالى.

(٢) سورة الصافات آية رقم (٦٥).

القرآن من الأساليب البيانية، وجمعها في كتاب سماه: مجاز القرآن. وهو على ما قيل: أول كتاب ألف في علوم البلاغة. كما ألف قطرب كتاباً في مشكل القرآن والموهم للاختلاف والتناقض منه. وألف محمود بن حمزة الكرماني كتاباً في غرائب التفسير سماه: العجائب والغرائب، ضمنه أقوالاً ذكرت في معاني آيات منكرة لا يحل الاعتماد عليها، ولا ذكرها إلا للتحذير منها. وألف شيخ الإسلام ابن تيميه رسالته الوجيزة التي سماها: مقدمة في أصول التفسير، بين فيها الأصيل في التفسير، وتحدث فيها عن طرف قليل من الدخيل.

هذا بالإضافة إلى أن جُلَ مَنْ كتب في التفسير– إن لم يكن كلهم – قد نبهوا في تفاسيرهم على ما تيسر لهم إدراكه من التأويلات الخاطئة، والروايات المنكرة. وأجلهم في ذلك من حيث التنبيه على نكارة الكثير من الروايات: الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى(١).

وأما في العصر الحاضر، فقد اجتهد العلماء في التنبيه على في ما كتب التفسير من الدخيل. كما أن للعلماء – في هذا العصر – مؤلفات خاصة في بعض ألوان الدخيل، ومن ذلك: الإسرائيليات في التفسير والحديث، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم، كلاهما للأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبي، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للأستاذ الدكتور محمد أبو شهبه رحمهما الله. كما نال الدخيل في التفسير – منذ سنوات – العناية الفائقة من جامعة الأزهر الشريف، حيث صار مادة مقررة قائمة برأسها على طلاب شعبة التفسير وعلوم القرآن.

كانت هذه لمحة موجزة عن نشأة علم الدخيل، وتاريخ تطوره، وبيان

---

(١) انظر الدخيل في التفسير للدكتور إبراهيم خليفة (١٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جهود العلماء في التنبيه على ما في كتب التفسير من الدخيل.

****

وأما موضوعات هذا العلم ومسائله: فإنها تدور ــ في جملتها ــ حول التفسير الخاطئ للقرآن الكريم، وذلك بإبرازه، والتنبيه عليه ــ سواء أكان ذلك في التفسير بالمأثور أم كان في التفسير بالرأي، وسواء أكان ذلك عن عمد أم عن خطأ ــ وكل ما يتوقف عليه إدراك ذلك، مما لا بد منه لمعرفة الصحيح من السقيم في التفسير.

****

وأما ثمرة هذا العلم: فإنها عظيمة لكل من يعنيه القرآن وشؤونه، إذ بدراسة هذا العلم يتبين للباحث ما هو حق، وما هو باطل من التفسير، فيستمسك بالذي هو حق، ويجتنب الباطل.

مكانة هذا العلم وشرفه: لا شك أن علم الدخيل قد بلغ الغاية في الفضل والشرف، لأن موضوعه في النهاية هو القرآن الكريم ــ والعلوم إنما تشرف بشرف موضوعها ــ ولا شك أن هذا الصنيع يبرز التفسير الصحيح للقرآن الكريم ويؤكده، وهو ما يترتب عليه بالضرورة فهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً، وهذا على حد قولهم: وبضدها تتميز الأشياء. وقولهم: والضد يظهر حسنه الضد.

حكم الشارع في دراسة هذا العلم:

من المعلوم أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. وإذا كان المسلمون مأمورين بتفسير القرآن الكريم، وفهمه فهماً صحيحاً لتنفيذ أوامره، وتطبيق أحكامه ــ وهو ما يتوقف بالضرورة على معرفة التفسير الصحيح من التفسير

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاطئ للقرآن الكريم، وتلك هي الثمرة المرجوة من دراسة علم الدخيل ـ فإنه يتبين لنا من ذلك: أن حكم الشارع في دراسة هذا العلم هو الوجوب والفرضية الكفائية، بالنسبة لعامة المسلمين، ضرورة أنه يجب أن يتصدى جميع من المسلمين لدراسة تفسير القرآن الكريم، دراسة تؤتي ثمرة هذا العلم، جملة وتفصيلا، حتى يتميز لنا الأصيل من الدخيل في التفسير، وهذه الدراسة ـ مع تعدد كتب التفسير، وتنوع مدارك المشتغلين به ـ متوقفة على الإفادة من هذا العلم، كما أنه يتبين لنا ـ بالتالي ـ أن حكم هذه الدراسة بالنسبة لمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم هو الوجوب العيني. فإذا لم يتصد المشتغلون بالتفسير لدراسة هذا العلم فقد وقع إثم ذلك عليهم وعلى جميع المسلمين. فإن هم قاموا بذلك فقد سقط الإثم عنهم وعن الباقين. والله تعالى أعلم.

•••••••

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني

نشأة الدخيل وعوامل انتشاره في كتب التفسير

نشأ الدخيل ــ في التفسير ــ أول ما نشأ في التفسير بالرأي، نتيجة الخطأ في فهم بعض آيات القرآن المجيد، سواء أكان ذلك عن عمد وسوء نية، أم كان بسبب التعجل في فهم بعض الآيات، مع حسن القصد وسلامة النية. وكان ذلك في حياته ﷺ متزامناً مع نزول القرآن الكريم على قلبه عليه السلام. والمتتبع للروايات الواردة في هذا الشأن يجد أن الدخيل في التفسير ــ آن ذاك ــ كان على لونين:

اللون الأول: وهو ما كان عن قصد خبيث، بسبب الإلحاد المتعمد؛ الذي يهدف إلى الانتصار لعبادة الأوثان، وإسقاط حجية القرآن الكريم.

وأما اللون الثاني: فهو ما وقع نتيجة الفهم الخاطئ من بعض المسلمين لبعض آيات القرآن الكريم، لنقص أداة أو أكثر من أدوات الاجتهاد، أو بسبب التعجل في فهم بعض الآيات القرآنية، مع حسن القصد، وسلامة النية. وقد استمر هذا اللون من ألوان الدخيل في التفسير في عهد الصحابة محتفظاً بالسمة التي كان عليها في عهده ﷺ وهي القلة مع صحة القصد وسلامة النية[1] إلا أن الخلاف بين الإمام علي ومعاوية رضي الله عنهما كان له أثر في انتشار الدخيل في التفسير، فقد ظهرت الفرق الإسلامية ــ وكانت كل فرقة من هذه الفرق حريصة على أن تؤيد مذهبها بالقرآن الكريم والسنة النبوية، فأكثروا من تأويل

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك في أثناء الحديث عن صور الدخيل في التفسير بالرأي إن شاء الله تعالى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الآيات، لينزلوها على مقتضى نحلتهم وأهوائهم، وأدخلوا في تفسيره ما ليس منه، ولم يكتف البعض بذلك، بل إنهم وضعوا الأحاديث ـ التي تؤيد مذهبهم، وتتماشى مع تأويلاتهم ـ على رسول الله ﷺ فدخل بذلك في التفسير كافة أنواع الدخيل.

وأما في عصر التابعين فقد انتشر الدخيل في التفسير انتشاراً فاحشاً، فزيادة على ظهور الفرق والمذاهب، فإن كثيراً من التابعين لم يلتزموا المنهج السليم، الذي التزم به الصحابة رضي الله عنهم في تمحيص الإسرائيليات، التي تلقوها عن مسلمة أهل الكتاب، ووزنها بميزان الشرع الدقيق. بل غضوا طرفهم عن ذلك، فاتسع النقل عن أهل الكتاب، ونمت رواية الإسرائيليات، في التفسير نمواً مزعجاً، حتى وجد في هذا العهد جماعة من المفسرين رأوا أن يسدوا ما يرونه ثغرات قائمة في التفسير بما وصل إليهم من الإسرائيليات، فجاء ما روي عنهم في التفسير مليئاً بقصص كله سخف ونكارة[1].

وأما في عصر تابعي التابعين فقد ازداد خطر الدخيل، وتفشى في التفسير بصورة واضحة، وتطرق الكثير من الموضوعات إلى التفسير، وكثرت الإسرائيليات من ذي قبل، وتعلق الكثير من الناس بها، بل زاد تعلقهم وشغفهم بالإسرائيليات، حتى أولع الناس بنقل الأخبار التي يعتبر الكثير منها نوعاً من الخرافة، وأفرطوا في الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يردون قولاً، وإن خالفه العقل أو رفضه الفكر. وتساهل الناس في الرواية تساهلاً وصل إلى درجة أنهم حذفوا الأسانيد، وكانت تلك هي الطامة الكبرى على التفسير، حيث عمى ذلك

---

(١) الإسرائيليات في التفسير والحديث للذهبي (٣٩).

وجه الحق، فلم يتمكن الناقد من تمييز الصدق من الكذب، ولا الحق من الباطل من الروايات[1].

كما اندس في صفوف المسلمين زنادقة ويهود ومجوس، ممن أعلنوا دخولهم في الإسلام ــ وهم يضمرون له الكيد ويريدون له الهدم ــ وبالغ بعضهم في التستر، فتظاهر بحب آل البيت، وغالوا في تقديرهم وتقديسهم، حتى وصلوا بهم إلى مراتب النبوة أو يزيد، ووضعوا على الرسول ﷺ وعلى أصحابه رضي الله عنهم في التفسير ــ كما وضعوا في غيره ــ أحاديث غريبة، ونسجوا فيه قصصاً عجيبة، معظمها منتزع من أصول يهودية، وأكثره يخالفها المحسوس، ويناقضها المعقول، ويشهد بكذبها أذواق الحكماء، فكان لذلك الأثر السيئ في انتشار الدخيل في التفسير.

ولما دونت العلوم، وانتشرت المعارف، واتسع نطاق المذاهب الفقهية والآراء الكلامية، وترجمت كتب كثيرة من كتب الفلاسفة، تأثر التفسير بكل ذلك، فقد امتزجت كل هذه العلوم، وما يتعلق بها من أبحاث بالتفسير، وغلب الجانب العقلي على الجانب النقلي، وتحكمت الاصطلاحات العلمية، والعقائد المذهبية في تفسير القرآن الكريم، وظهرت آثار الثقافة الفلسفية والعلمية للمسلمين في تفسير القرآن الكريم. وتشعبت مذاهب الخلاف الفقهي، وأثيرت مسائل الكلام، وظهر التعصب المذهبي.

بل إن التفسير قد خضع ــ آنذاك ــ لاستعداد المفسر، ونوع نبوغه العلمي، واتجاهه المذهبي، حتى كاد كل تفسير أن يقتصر على الفن الذي برع فيه مؤلفه. فالنحوي مثلاً ــ كالزجاج والواحدي والفراء وأبي حيان والحلبي ــ

---

(١) التفسير والمفسرون للذهبي ١/١٧٦.

يبذل قصارى جهده في الإعراب، ويستطرد إلى فروع النحو وخلافاته، حتى طغى فنه على التفسير. وصاحب العلوم العقلية – كالفخر الرازي – يجعل عنايته في تفسيره الاهتمام بأقوال الحكماء والفلاسفة، وذكر شبههم، والرد عليهم، والانسياق في الأمور الكونية، حتى قيل عن كتابه – مفاتيح الغيب – فيه كل شيء إلا التفسير. والفقيه – كالقرطبي والجصاص – يلتمس من الآية أدنى مناسبة ليدخل في الفروع وأدلتها والرد على مخالفي مذهبه، حتى بعد كثيراً عن التفسير. وصاحب التاريخ والقصص – كالثعلبي والخازن – لا يصل إلى خبر أو قصة حتى يدع الآية جانباً، ويدخل في الأخبار والحكايات، بدون أن يفرق في ذلك بين الصحيح والموضوع. وصاحب الكلام – كالرماني والجبائي والزمخشري والطبرسي – يجعل كل همه في التفسير التأويل والتكلف، لينزيل الآية على مقتضى نحلته وهواه.

ولا يخفى أن هذا اللون من التفسير يخرج بالقرآن عن هديه الذي أنزل من أجله. لذلك فإن الكثير من العلماء – من أمثال الشيخ محمود شلتوت، والأستاذ أمين الخولي، والشيخ محمد رشيد رضا – لم يرضوا عن هذا اللون من التفسير، ولم يستسيغوا شرح كتاب الله تعالى بهذه الطريقة.

وقد نعى الشيخ محمد رشيد رضا في مقدمة المنار على من تأثر من المفسرين بالنزعات العلمية في التفسير، فشغلوا التفسير بمباحث النحو والفقه ونكت المعارف وغير ذلك، لأن ذلك يصرف الناس عن القرآن وهديه. كما نعى على الفخر الرازي ما أورده في تفسيره من العلوم الحادثة، التي من شأنها أن تصرف الناس عن هدي القرآن الكريم[1].

---

(١) راجع التفسير والمفسرون ٢/٥١٩، المنار للشيخ محمد رشيد رضا١/ ٧.

ولسنا نعني بذلك أن التوسع في قواعد اللغة، وأصول الفقه، ومسائل النحو، والتفصيل في قواعد الدين، والتوسع في ذكر دلائله أمر مرفوض، فإن كل ذلك مقبول، وهو أمر طيب، وبحث مفيد، لكنه لا يعد من مباحث التفسير، فإنه لا يؤخذ من هذه العلوم في التفسير إلا بقدر الضرورة، أما التوسع فيها، وجعل ذلك من مباحث التفسير ــ فإنه ولا شك من الدخيل المرفوض في التفسير.

****

عوامل انتشار الدخيل في التفسير:

يرجع انتشار الدخيل في كتب التفسير إلى عاملين رئيسين؛ عامل خارجي، وآخر داخلي.

أما العامل الخارجي: فإنه يتمثل في أعداء الإسلام الحاقدين؛ من المشركين واليهود والنصارى والشيوعيين، وغيرهم، ممن أرادوا أن يفسدوا عقائد المسلمين، ويشوشوا على الإسلام ــ في تعاليمه ــ ليظهروه أمام العالم في صورة غير لائقة به، ويسقطوا حجية القرآن الكريم، انتقاماً لأمجادهم الغابرة، وحضاراتهم المزيفة. وذلك بدس الخرافات والأباطيل، وإثارة الشبهات حول القرآن المجيد، قاصدين من وراء ذلك فتنة المسلمين في دينهم، وتشكيكهم في كتاب ربهم، وتفتيت وحدة الأمة الإسلامية.

ومن ذلك القبيل: الشبهات التي أثارها المشركون حول بعض الآيات القرآنية، في زمن نزول القرآن الكريم على قلب النبي ﷺ والشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام؛ من المستشرقين والعلمانيين وغيرهم، حول بعض آيات القرآن في العصر الحاضر، كتلك الشبهات التي أثاروها حول قصة الغرانيق، وقصة زواج الرسول ﷺ من زينب بنت جحش. وغير ذلك من الشبهات التي يثيرها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أعداء الإسلام حول بعض آيات القرآن.

وأما العامل الداخلي: فإن صور هذا النوع تتعدد، وتختلف باختلاف الهدف منه، والباعث عليه، فمنه ما كان عن قصد حسن، وذلك كما وقع من بعض أصحاب الرسول ﷺ في تفسير بعض الآيات، وكما يقع للكثير من المفسرين في تفسير القرآن الكريم.

ومنه ما كان عن قصد خبيث. ويندرج تحت هذا النوع من الصور ما يأتي:

أولاً: الطوائف التي انتسبت إلى الإسلام في الظاهر، وهي في الحقيقة وثيقة الصلة بأعداء الإسلام.

فبعد أن عجز أعداء الإسلام عن القضاء على الإسلام بالحرب والقتال، وأعياهم الصد عن سبيل الله بالحجة والبرهان، لجأوا إلى حيلة أخرى يصلون بها إلى هدفهم الخبيث. فتظاهر بعضهم ــ مكرا وخداعاً ــ بالدخول في الإسلام ــ وقلوبهم منه خاوية ــ واستغلوا عواطف المسلمين، وحبهم لآل البيت، فتظاهر الكثير منهم بالتشيع لهم، وغالوا في تقديرهم وتقديسهم حتى وصلوا بهم إلى مراتب النبوة أو يزيد. وصوروا أبا بكر وعمر وعثمان ــ رضي الله عنهم ــ بصورة الغاصبين للخلافة ــ التي هي حق علي وذريته من بعده ــ ووضعوا في ذلك كله أحاديث غريبة، ونسجوا فيه قصصاً عجيبة، معظمها منتزع من أصول يهودية. وحبكوا هذه الأحاديث بخبث ومهارة، فذاعت وانتشرت، وتلقفها نفر من الناس منسوبة إلى النبي ﷺ ورسول الله منها ومن قائليها ومروجيها براء[1].

---

(١) انظر الإسرائيليات في التفسير والحديث للذهبي (٤٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد أدلت هذه الطوائف بدلوها في انتشار الدخيل في التفسير؛ وذلك بنشر الخرافات والأباطيل حول القرآن، وتفسيره تفسيراً كله تحريف وتخريف، تماشياً مع المخطط الهدام، الذي رسمه لهم أعداء الإسلام ــ من الزنادقة[1] واليهود والنصارى والفرس والرومان وغيرهم ــ للقضاء على الإسلام، وتحطيم عقائده وتعاليمه في النفوس.

ثانياً: الخلافات المذهبية: كما كان للخلاف المذهبي أثره في انتشار الدخيل في التفسير، فقد كانت كل فرقة حريصة على أن تؤيد مذهبها بالقرآن الكريم، والسنة النبوية، فأكثروا من تأويل الآيات، لينزلوا القرآن على مقتضى نحلتهم وأهوائهم، وأدخلوا في تفسيره ما ليس منه. كما وضعوا الأحاديث التي تؤيد مذهبهم، وتمدح متبوعيهم. ومن ذلك ما فعلته الشيعة ــ لاسيما الروافض منهم ــ فقد وضعوا أحاديث كثيرة ــ تتعلق بالتفسير وأسباب النزول ــ في فضائل الإمام علي وآل بيته،، ليحملوا آيات المدح والثناء في القرآن على علي كرم الله وجهه، وعلى أئمتهم ــ من أولاده ــ بعده.

وكذلك فعل أنصار العباسيين، فنسبوا إلى ابن عباس ــ تقرباً للأمراء والحكام من العباسيين ــ أقوالاً كثيرة، لم تصح نسبتها إليه، ووضعوا عليه روايات كثيرة ــ لاسيما في التفسير ــ وصوروه بصورة العالم بكل شيء. كما وضعوا كذلك الأحاديث في ذم الأمويين، فقابلهم أنصار الأمويين بالمثل، فوضعوا الأحاديث في ذم العباسيين، ومدح الأمويين.

---

(١) الزنادقة: هم المبطنون للكفر المظهرون للإسلام. أو هم من لا يدينون بدين. انظر: فتح المغيث للسخاوي ١/٢٣٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثالثاً: اختلاط الصحيح من المرويات بغيره، ونقل كثير من الأقوال المعزوة إلى الصحابة والتابعين بدون إسناد ولا تحر، مما أدى ذلك إلى التباس الحق بالباطل، والصحيح بالضعيف، وصار كل من يقف على رأي يعتمده ويورده، ثم يجيء مَنْ بعده، فينقله تحسيناً للظن بقائله من ناحية، وعلى اعتبار أن له أصلاً من ناحية أخرى، ولا يكلف نفسه مؤنة البحث عن منشأ الرواية، وعمن رويت، ومن رواها.

رابعاً: كثرة الروايات الإسرائيلية المليئة بالخرافات، والتي يقوم الدليل على بطلانها، ومنها ما يتعلق بالعقائد التي لا يجوز الأخذ فيها بالظن، ولا بروايات الآحاد، بل لابد فيها من دليل قاطع، وذلك كالروايات التي تتحدث عن أشراط الساعة، وأهوال القيامة وأحوال الآخرة[1].

خامساً: كثرة القصاص: فقد احترف القصص طائفة من الجهلة، الذين كانوا يعظون الناس بالقصص الكاذب في المساجد والأسواق، من أجل التكسب والشهرة، وكان هؤلاء القصاص يستميلون الناس، ويستهوونهم بالغرائب والأباطيل، وكانوا يستبيحون لأنفسهم الكذب ــ في هذا المجال ــ في التفسير والحديث وفي غيرهما. وقد بلغ من تأثير القصاص على الناس أن العوام كانوا يصدقون هؤلاء القصاص ويكذبون العلماء.

سادساً: التفسير بالرأي من غير تأهل له؛ باستيفاء الشروط، وتحصيل العلوم، وتوفر الملكات اللازمة لذلك.

سابعاً: النزاع في الصفات الخبرية. وهي الصفات الموهمة للتشبيه. فإن

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للشيخ محمد أبو شهبة (١٢٢)، مناهل العرفان (٢/ ٢٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاختلاف في هذه الصفات، والنزاع فيها قد ترتب عليه الكثير من الدخيل، سواء في التفسير بالرأي أم في التفسير بالمأثور.

ثامناً: التحاكم إلى العقل فيما ليس الحكم فيه للعقل، وذلك مثل الأمور المتعلقة بذات الله سبحانه وتعالى، وأمور الحشر، وأحوال يوم القيامة، وغير ذلك مما لا مجال فيه للرأي.

تاسعاً: التفلسف والتنطع في استنباط المعاني، واستعراض المقدرة اللغوية والإعرابية والبلاغية، والتكلف في إبراز أوجه إعجاز القرآن الكريم، لاسيما الإعجاز العلمي.

******

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثالث

الدخيل في التفسير بالرأي وصوره

تعريف الدخيل في التفسير بالرأي:

الدخيل في التفسير بالرأي: هو تفسير القرآن الكريم بالرأي الفاسد، الناشئ عن عدم استيفاء الشروط، وتحصيل العلوم، وتوفر الملكات اللازمة لذلك.

****

صور الدخيل في التفسير بالرأي

تتعدد صور الدخيل في التفسير بالرأي، وتتنوع بتنوع الباعث عليها، والهدف منها. وإليك صور الدخيل في التفسير بالرأي:

الفهم الخاطئ للآيات مع حسن القصد وسلامة النية

فقد يكون منشأ الدخيل، والباعث عليه في التفسير هو الفهم الخاطئ الناتج عن نقص ما في بعض أدوات الاجتهاد، ترتب عليه عدم رعاية جانب المعقول أو المنقول أو كليهما حق رعايتها، من غير أن يبعث على هذا الخطأ سوءُ قصد بالمرة، وإنما غايته أن صاحبه اجتهد فأخطأ، لنقص أداة أو شرط ما، من أدوات وشروط الاجتهاد. وهذا هو ما عليه أكثر المفسرين من أهل السنة قديماً وحديثاً.

وقد نشأ هذا اللون من ألوان الدخيل ــ في التفسير ــ أول ما نشأ في حياته ﷺ متزامناً مع نزول القرآن الكريم على قلبه عليه السلام. وقد كان ذلك نتيجة الفهم الخاطئ من بعض المسلمين لبعض آيات القرآن الكريم، لنقص أداة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أو أكثر من أدوات الاجتهاد، أو بسبب التعجل في فهم بعض الآيات القرآنية، مع حسن القصد، وسلامة النية.

فليس منشأ هذا اللون هو العصبية الجاهلية، بل ليس منشأ الخطأ كذلك الجهل بلسان العرب، وإنما هو نقص ما في بعض أدوات الاجتهاد الأخرى، دفع إليه شيء من التسرع والعجل، الذي لا يكاد ينجو منه أحد، لملازمته الفطرة التي جبل عليها البشر[1].

الأمثلة على هذا النوع:

هناك العديد من الأمثلة التي تكشف لنا بقدر معقول عن وقوع هذا اللون من ألوان الدخيل في التفسير. وليس القصد هنا هو استقصاء تلك الأمثلة، وإنما الغرض من ذلك عرض بعض النماذج المفصحة عن وقوع الدخيل في تفسير القرآن المجيد مع حسن القصد وسلامة النية. وإليك بعضاً من هذه الأمثلة.

المثال الأول: أخرج الإمام البخاري وغيره عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: لما نزلت **(حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود)**[2] عمدت إلي عقال أبيض، وإلي عقال أسود، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر إلي الليل، فلا يستبين لي، فغدوت إلي رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال **"إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار"**[3].

---

(١) راجع الدخيل في التفسير للدكتور إبراهيم خليفة (١٠٦، ١٠٧).

(٢) سورة البقرة آية رقم (١٨٧).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الصوم ١٣٢/٤، ومسلم كتاب الصوم ٢/ ٧٦٦ وأبو داود في الصوم باب وقت السحور ٢٠٤/٢ والنسائي كتاب الصوم ٤/ ١٤٨ واللفظ للبخاري.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من هذا المثال يتبين لنا أن عدياً رضي الله عنه قد التبس عليه في فهم المراد من الخيطين، وسبب هذا اللبس هو تعدد المدلولات لمفردات الخيط الأبيض والخيط الأسود، ففهم عدي رضي الله بعض تلك المدلولات، وهو العقال أو الحبل، بينما كان المراد منه: سواد الليل وبياض النهار، كما اتضح ذلك من قوله تعالي **(من الفجر)**.

وقد التبس الأمر أيضاً علي بعض الصحابة رضي الله عنهم، فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد قال: أنزلت **(وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّىَ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)** ولم ينزل **(من الفجر)** فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود، ولم يزل يأكل حتى يتبن له رؤيتها، فأنزل الله **(من الفجر)** فعلموا أنه إنما يعني به الليل والنهار[1].

المثال الثاني: أخرج الإمام البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزل **(الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوَاْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ)**[2] شق ذلك علي المسلمين، فقالوا: يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه؟ قال" **ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قاله لقمان لابنه وهو يعظه (يَبُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)**"[3].

لقد فهم الصحابة رضي الله عنهم من قوله تعالى(بظلم) عموم أنواع المعاصي، وذلك لأنهم حملوا الظلم في الآية علي العموم. ولم ينكر عليهم

---

(١) صحيح البخاري كتاب الصوم ١٣٢/٤.

(٢) سورة الأنعام آية (٨٢).

(٣) صحيح البخاري كتاب الأنبياء ٤٦٥/٦ والآية (١٣) من سورة لقمان.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرسول ﷺ ذلك وإنما بين لهم أن المراد بالظلم: أعظم أنواع الظلم، وهو الشرك، فظاهر العام هنا غير مراد، بل هو من العام الذي أريد به الخصوص. قال الحافظ ابن حجر: فدل ذلك علي أن للظلم مراتب متفاوتة[1].

المثال الثالث: أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أبي مليكه: أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال"**من حوسب عذب**" قالت عائشة: قلت: أو ليس يقول الله **(فسوف يحاسب حسابا يسيراً)** [2] قالت: فقال "**إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك**"[3].

لقد حملت عائشة رضي الله عنها الحساب في الآية علي العموم، لظهور العموم فيه، فبين لها النبي ﷺ أن المراد بالحساب هنا أمر خاص، وهو العرض[4].

المثال الرابع: أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي بكر بن زهير قال: أخبرت أن أبا بكر قال: يا رسول الله: كيف الصلاح بعد هذه الآية **(لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا)**[5] فكل سوء عملنا جزينا به؟! فقال

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٨٧/١.

(٢) سورة الانشقاق آية رقم (٨).

(٣) صحيح البخاري كتاب العلم ١/ ١٩٦.

(٤) راجع فتح الباري ١٩٦/١.

(٥) سورة النساء آية رقم (١٢٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رسول الله ﷺ "غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تمرض؟ ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللأواء؟ قال: بلي. قال: فهو ما تجزون به"(١).

فهذا المثال وغيره يدل علي أن بعض أصحاب النبي ﷺ قد أُدْخِلَ عليهم في تفسير بعض الآيات بسبب الفهم الخاطئ، وأن النبي ﷺ كان يبين لهم التفسير الصحيح لهذه الآيات.

وكأن الله تعالى بهذا ينبه كافة من بعدهم، والذين هم – ولا ريب – دونهم في الفهم الراجح، والعلم الصحيح. فضلاً عما اختصهم به تعالى من حضور الوحي، ومشاهدة وقائع التنزيل، والاستنارة بنوره ﷺ والاقتباس من بركات نبوته. كأن الله تعالى ينبه بذلك من هو دونهم إلى مدى ما للتفسير من خطورة الشأن، وجسامة القدر،المستدعي بالضرورة إلزام أقصى غايات الاحتياط، وبذل منتهى المجهود بالجد والإناة معاً في تحصيل العلوم، وإتقان اللسان، ولزوم التقوى، وغير ذلك مما لا بد منه مسبقاً لصحة التعرض لمعاني كلام الله عز وجل.

فإذا كان أصحاب رسول الله ﷺ وهم من هم وصولاً إلى أقصى الغايات في ذلك قد أخطأوا في فهم نصوص بعض القرآن الكريم، فما ظن من وراءاهم بأنفسهم، بل ما ظن من يتهجمون في أيامنا هذه على تفسير القرآن الكريم، دون ما استعداد له بما هو ضروري التقدم عليه من أدوات الاجتهاد، حتى أتوا من ذلك بما تنكره العقول، من ضلالات الأوهام، مما يندي له جبين كل مسلم، يغار على دينه، وكتاب ربه(٢).

---

(١) مسند الإمام أحمد ١/١١.

(٢) الدخيل في التفسير للدكتور إبراهيم خليفة (١٠٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذا كان أصحاب النبي ﷺ ــ وهم أعلم الناس بالتفسير ــ قد أخطأوا في فهم بعض الآيات، فإن في ذلك رفع الجرج ــ عمن هو أقل منهم ممن بعدهم ــ عن الوقوع في الخطأ في التفسير. وفي ذلك دعوة للعلماء ألا يحجموا عن التفسير مخافة الخطأ، إذا قد وقع فيه من هو أعلم منهم بذلك، وهم أصحاب النبي ﷺ.

وعلى كل فإن هذا اللون من الدخيل في التفسير لم يكن كغيره في الكثرة، وإنما هي أفراد قليلة جداً، ولم يكن ذلك ناتجاً عن سوء القصد وخبث النية، وإنما كان مع حسن قصد، وسلامة النية.

وقد استمر الدخيل في التفسير بعد وفاة النبي ﷺ محتفظاً بالسمة التي كان عليها في عهده عليه السلام، وهي القلة مع صحة القصد وسلامة النية. ومن ذلك: ما روي أن عمر رضي الله عنه لما أراد أن يقيم حد شرب الخمر على قدامة بن مظعون ــ عامله على البحرين ــ بعد الشهادة عليه بذلك، قال قدامة: لو شربت ــ كما تقول ــ ما كان لكم أن تحدوني، فقال عمر: ولِمَ ؟! قال قدامه: قال الله عز وجل **(ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين)**[1] فقال عمر: أخطأت، التأويل، أنت إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله، ثم أقام عليه الحد[2].

****

(١) سورة المائدة آية رقم (٩٣).

(٢) الخبر بطوله ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة ٢٢٨/٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقد يكون منشأ الدخيل، والباعث عليه في التفسير هو توجيه المعقول وجهة منحرفة، والسير به على درب غير مستقيم، بأن يحكم العقل أو يتحاكم إليه فيما ليس الحكم فيه للعقل، مما لا مجال فيه للرأي. أو أن يظن خطأ أن في ظاهر منطوق النص مخالفة لمقتضى العقل، فيؤول النص، ويطرح ظاهره لأجل هذا الظن الخاطئ مع أن الحقيقة، وواقع الأمر أنه لا مخالفة أصلاً بين الظاهر ومقتضى العقل، وبالتالي لا حاجة بالمرة إلى التأويل، إذا منشأ الخطأ، والباعث عليه هو تحريف المعقول عن مواضعه. ويمثل هذا التفريط والتعطيل ـ للكثير من الظواهر ـ فرقة المعتزلة(١).

فقد سلكت المعتزلة في تفسير القرآن مسلكاً يقرر أصولهم الخمسة التي أقاموا عليها مذهبهم. كما بذلوا جهداً كبيراً في تدعيم مذهبهم بالقرآن الكريم، وسبيل ذلك: إخضاع عباراته لآرائهم، وتفسيرهم لها تفسيراً يتفق مع نحلتهم. وقد اعتمدوا في ذلك على العقل أكثر من اعتمادهم على النقل، بل إنهم قدموا العقل على النقل، وأنكروا الأحاديث الصحيحة التي تعارض فكرهم، وقواعد مذهبهم.

كما حرصت المعتزلة كل الحرص على استخدام اللغة بما يخدم أصولهم في التأويل، فنراهم إذا واجهوا نصاً من القرآن يتعارض مع أصل من أصولهم

---

(١) **المعتزلة**: فرقة من أكبر الفرق الإسلامية، ظهرت إثر النزاع بين المسلمين، وقد نشأت في العصر الأموي، ولكنها شغلت الفكر الإسلامي في العصر العباسي، وهم ينسبون إلى واصل بن عطاء، الذي خالف أستاذه في حكم مرتكب الكبيرة الذي مات ولم يتب. وهم يقيمون مذهبهم على خمسة أصول؛ التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. راجع الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٠)، مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي ٣٧/١.

الخاط
يتبين
الكفائ
المسل
وتفص
تعدد
العلم
لتفسي
لدرا
بذلك
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بحثوا في اللغة عن بعض أوجه الاستخدامات في الألفاظ التي تحول دون اصطدامها مع الظاهر من معنى هذا النص.

ومن ذلك: موقفهم من تفسير قول الله تعالى {**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**}[1] وقوله {**على الأرائك ينظرون**}[2] فإنهم لما رأوا النص القرآني ينطق برؤية المؤمنين لله تعالى يوم القيامة ــ وهذا ما يخالف مذهبهم؛ الذي يقضي باستحالة رؤية المؤمنين لربهم تبارك وتعالى في الدنيا والآخرة ــ ذهبوا إلى أن معنى النظر: الرجاء والتوقع للنعمة والكرامة، فالنظر عندهم: ليس مختصاً بالرؤية المادية، وإنما يتعداه إلى الرؤية المعنوية[3]. مستدلين على نفي رؤية الله بقوله تعالى {**لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**}[4].

فالمعتزلة إنما أنكروا رؤية الله تعالى، وتلاعبوا في الآيات، لأنهم تحاكموا إلى العقل فيما ليس الحكم فيه للعقل، إذ رؤية الله تعالى أمر غيبي، ولا طريق لإثباتها، أو نفيها إلا السمع لا العقل.

ومن ثم فإن مذهب أهل السنة، وجمهور العلماء إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، لورود الدليل الشرعي بذلك. قال تعالى{ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ** }

---

(١) سورة القيامة آية رقم (٢٢، ٢٣).

(٢) سورة المطففين آية رقم (٢٣).

(٣) انظر التفسير والمفسرون ٣٧٦/٢.

(٤) راجع شرح العقائد النسفية (٥١)، المواقف للإيجي (٢٩٩) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (٥٩) والآية رقم (١٠٣) من سورة الأنعام.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال (لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىَ وَزِيَادَةٌ) [1] فالحسنى الجنة. والزيادة هي رؤية الله تعالى، كما هو مروي عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وابن عباس وابن المسيب وعبد الرحمن بن أبي ليلى ومجاهد وعكرمة وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق، وغيرهم من السلف والخلف.

وهو الوارد عن حضرة صاحب الرسالة ﷺ فقد أخرج الإمام أحمد عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ تلا هذه الأية: (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) وقال **إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، وأهل النارِ النارَ، نادى منادٍ يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يثقل موازيننا؟ ألم يبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويجرينا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، ولا أقر لأعينهم**"[2].

وأخرجه الإمام مسلم بلفظ "**إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل**"[3].

هذا عن رؤية الله في الآخرة. وأما في الدنيا فجمهور العلماء على أنها – وإن كانت جائزة عقلاً – لم تقع لأحد. كما اتفقوا كذلك على أن رؤية الله

---

(١) سورة يونس آية رقم (٣٦).

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٤١٤/٢.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى ٤٢٦/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعالى بمعنى الإحاطة والشمول مستحيلة عقلاً وشرعاً. قال تعالى: (**لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**) فالمنفي هنا الرؤية بمعنى الإحاطة والشمول، لا مطلق الرؤية. وبذلك يبطل استدلال المعزلة بهذه الآية على نفي رؤية الله تعالى مطلقاً.

ومن مظاهر تحاكم المعتزلة إلى العقل فيما لا مجال فيه للعقل أن القراءة إذا تناقضت مع مذهبهم ردوها حيناً، أو تصرفوا فيها حيناً آخر، ومن ذلك ما فعلوه في تفسير قوله تعالى {**وكلم الله موسى تكليماً**}[1] فإنهم أعرضوا عن بيان معنى الآية وفق قراءة الجمهور بالرفع ــ لدلالتها على إثبات صفة الكلام لله تعالى، وهم ينكرون ذلك ــ وإنما تمسكوا بقراءة يحيى بن وثاب ــ بنصب لفظ الجلالة ــ حتى يكون الكلام واقعاً من موسى لله تعالى، مع أن الكثير من العلماء قد اعترض على هذه القراءة، وأنكر الكثير منهم نسبتها إلى ابن وثاب[2].

فالمعتزلة إنما اجترؤوا على القراءة المتواترة فأنكروها، وتمسكوا بالقراءة الشاذة فأثبتوها، لأنهم تحاكموا إلى العقل في أمر غيبي، ليس الحكم فيه للعقل. وإنما الحكم فيه للسمع. وقد قال الله تعالى (**وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ**)[3] فهذا نص قاطع في إثبات صفة الكلام لله تعالى، ولا سبيل للمعتزلة إلى إنكاره، أو التصرف فيه. ولهذا فقد أجمع السلف والخلف من علماء الأمة على إثبات صفة الكلام لله تعالى، لورود الدليل الشرعي بذلك.

---

(١) سورة النساء آية رقم (١٦٤).

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٥٨٨/١، الكشاف للزمخشري ٣٩٧/١.

(٣) سورة الأعراف آية رقم (١٤٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما أنهم توسعوا في حمل الكلام على الفروض المجازية والتمثيلية والتخييلية، والإعراض عن الظاهر — إذا كان ذلك يخدم مذهبهم — ومن ذلك فعلوه في تفسير قوله تعالى { **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِيٓ آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَافِلِينَ** }[1] فقد حملوا الكلام في الآية على الاستعارة التمثيلية.

وقالوا: إن هذا إشارة إلى ما نصب لهم من دلائل ربوبيته، وركب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها، حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم (**ألست بربكم قالوا بلى**) فنزل تمكنهم من العلم بها، وتمكنهم منه بمنزلة الإشهاد والاعتراف، على طريقة التمثيل[2].

والذي حمل المعتزلة على ذلك أن العقل لم يستوعب أخذ الميثاق من آدم وذرية بهذه الطريقة، فحملوا الكلام في الآية على ما حملوا.

والأدلة الصحيحة ناطقة بأن أخذ الميثاق — الذي تشير إليه الآية — كان على حقيقته، ومن ثم فإن جمهور العلماء من أهل السنة قد أجروا الآية على ظاهرها، وحملوا الكلام على حقيقته.

فقد أخرج الإمام النسائي، وغيره عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال "**أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان عرفه، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرها بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلاً، وقال: ألست بربكم؟**

---

(١) سورة الأعراف آية رقم (٧٢).

(٢) انظر الكشاف ١٧٦/٢.

قالوا (بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)" قال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح [1].

وأخرج الإمام مالك في الموطأ عن مسلم بن يسار أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية **(وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم)** فقال سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها، فقال"**إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهر آدم، فاستخرج منه ذرية، فقال: هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون**"[2].

وحمل الكلام على ظاهره ــ خاصة إذا أيده الحديث والأثر ــ أولى من حمله على المجاز والاستعارة والتمثل والتخييل. ما لم توجد قرينة مانعة من إرادة الحقيقة. بل إنه لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا وجدت قرينة مانعة من حمل الكلام على حقيقته، ولا قرينة هنا تمنع من حمله على حقيقته، بل إن ورد الحديث والأثر ليدل على صحة حمل الكلام على حقيقته. والله تعالى أعلم.

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ٢٥/٧. والحديث أخرجه النسائي في كتاب التفسير، باب سورة الأعراف ٣٤٧/٦، والإمام أحمد في المسند ١٥١/٥، وأخرجه الحاكم عن أبي في كتاب التفسير، سورة الأعراف. وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. المستدرك.٣٢٣/٢.

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ كتاب القدر باب النهي عن القول بالقدر ٨٩٨/٢، والإمام أحمد في المسند ٤٤/١، وأبود داود في سننه كتاب السنة باب القدر ٨٠/٥، والترمذي في تفسير سورة الأعراف ٢٦٦/٥، والنسائي في تفسير سورة الأعراف ٣٤٧/٦، وابن حبان في صحيحه كتاب القدر باب أخذ الميثاق (٤٤٧)، والحاكم في المستدرك تفسير سورة الأعراف ٣٢٤/٢. قال الترمذي حديث حسن. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأما كيفية الإخراج والمخاطبة، فهذا ما نكل علمه إلى الله تعالى، ولا يسعنا إلا ما وسع السلف الصالح من قولهم (**آمنا به كل من عند ربنا**)[1] وقدرة الله تعالى واسعة، لا يعجزها شيء في الأرض، ولا في السماء. وهذا القول هو قول كثير من قدماء المفسرين، وعلماء السلف، كسعيد بن المسيب، والضحاك، وعكرمة، وابن جبير، وغيرهم.

قال العلامة ابن المنير: والظاهر ما لم يخالف المعقول يجب إقراره على ما هو عليه، فلذلك أقره الأكثرون على ظاهره، وحقيقته، ولم يجعلوه مثالاً. وأما كيفية الإخراج والمخاطبة فالله أعلم بها.

وقال العلامة الألوسي: والذي يجب اعتقاده أنهم كلهم وجهوا الجواب لرب الأرباب.

وقال الخازن في تفسيره: وهذا القول هو مذهب أهل التفسير والأثر، وظاهر ما جاءت به الروايات عن السلف، وهو المختار، لأنه مذهب جمهور المفسرين من السلف، وورد الحديث عن النبي ﷺ ولا منافاة بين الآية والحديث، لأن الله أخرج من ذرية آدم على سبيل التوليد؛ بعضهم من بعض، كما في الخارج، وكلهم بأجمعهم من ظهر آدم الذي هو أصلهم.

وقال الإمام الرازي: وأما أنه تعالى يخرج كل تلك الذرية من صلب آدم فليس في الآية ما يدل على ثبوته، وليس في الآية أيضا ما يدل على بطلانه، إلا أن الخبر قد دل عليه، فثبت إخراج الذرية من ظهور بني آدم بالقرآن، وثبت

---

(١) سورة آل عمران آية رقم (٧).

إخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر، وعلى هذا التقدير فلا منافاة بين الأمرين، ولا مدافعة، فوجب المصير إليهما صوناً للآية والخبر عن الطعن بقدر الإمكان.

وقال المحقق الشهاب: والتوفيق بين الآية والحديث أن يقال: المراد من بني آدم ـ في الآية ـ أولاده، فكأنه صار اسماً كالنوع للإنسان والبشر. والمراد من الإخراج توليد بعضهم من بعض على مر الزمان [1].

وقال العلامة الطيبي: والواجب على المفسر المحقق ألا يفسر كلام الله المجيد برأيه، إذا وجد من جانب السلف نقلاً معتمداً، فكيف النص القاطع من جنات حضرة صاحب الرسالة، صلوات الله وسلامه على صاحبها. فإن الصحابي رضي الله عنه إنما سأله ﷺ عما أشكل عليه من معنى الآية، فلما أجابه صلوات الله وسلامه عليه بما عرف منه ما أراده سكت ـ لأنه كان بليغاً ـ ولو أشكل عليه من جهة أخرى لكان الواجب بيان تلك الجهة، وكذا فهم الفاروق رضوان الله عليه[2].

ولا يخفى أن المراد من قوله **(ظهورهم)** آدم وذريته، ولكن غلب إخراج الذراري من أولاده نسلاً بعد نسل على ذراري نفسه، لأن الكلام على الاحتجاج على الأولاد، لشهادة قوله **(وأشهدهم على أنفسهم)** ونحوه ـ لكن في إرادة الامتنان ـ قوله **(خلقناكم ثم صورناكم)** بقرينة قوله **(اسجدوا لآدم)**[3] ويعضد

---

(١) راجع الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير ١٧٦/٢، مفاتيح الغيب للإمام الرازي ٣٤٨/١٤، حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ٢٣٦/٤، روح المعاني للألوسي ١٦٠/٩، تفسير الخازن ١٢٤/٢.

(٢) حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي مخطوط بالمكتبة الأزهرية ٩٦٢/٢.

(٣) سورة الأعراف آية رقم (١١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذلك ما نقله الواحدي عن الكسائي أنه قال: لم يذكر ظهر آدم ــ وإنما أخرجوا جميعاً من ظهره ــ لأن الله أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض، على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء، فاستغنى عن ظهر آدم، لِما عُلمَ أنهم كلهم بنوه، وأخرجوا من ظهره [1].

ومن هنا فقد أنكروا العلماء أسلوب المعتزلة في تفسير القرآن، وذموه وعدوه من الدخيل في التفسير بالرأي[2].

******

(١) المرجع السابق، تفسير البغوي ٢/ ١١٢.

(٢) مقدمة ابن تيميه في التفسير (٢٢)، أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم١/٧٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إخضاع التفسير لآراء الفلاسفة

وتغليب المصطلحات والنظريات الفلسفية على التفسير

فقد يكون منشأ الدخيل، والباعث عليه في التفسير هو إخضاع التفسير لآراء الفلاسفة، وتغليب المصطلحات والنظريات الفلسفية على التفسير. ويمثل هذا التفريط كثير من الفلاسفة، الذين تعرضوا لتفسير القرآن الكريم.

وقد كان أول ظهور هذا المنهج في التفسير في العصر العباسي، عندما ترجمت كتب فلسفية كثيرة من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية، ورغم ما في هذه الكتب من نظريات تتعارض مع الدين، فإن البعض من علماء المسلمين قد أعجب بها، ورأوا أن في مقدورهم أن يوفقوا بين الفلسفة والدين. فمنهم من أول النصوص الدينية، والحقائق الشرعية بما يتفق مع الآراء الفلسفية ــ حتى تساير الفلسفة ــ ومنهم من شرح النصوص الدينية بالآراء والنظريات الفلسفية، حتى طغت الفلسفة على الدين، وتحكمت في نصوصه. ثم وجدنا أنفسناً أمام شروح لبعض الآيات القرآنية، هي في الحقيقة شروح لبعض النظريات الفلسفية، قصد بها تدعيم الفلسفة على حساب الدين.

فنجد الفارابي ــ على سبيل المثال ــ يقول بقدم العالم، لأنه فسر قوله تعالى {**هو الأول والأخر**}[1]. تفسيراً فلسفياً بحتاً، فيقول: إن الله هو الأول، فكل زمان ينسب إليه يكون أولياً. كما أنه فسر الملائكة بأنهم صور علمية، جواهرها علوم إبداعية، قائمة بذواتها، تخاطبها الروح القدسية في اليقظة، والروح البشرية تعاشرها في المنام.

---

(١) سورة الحديد آية رقم (٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأكثر الفلاسفة يعتقدون أن القرآن ما هو إلا رموز للحقائق البعيدة عن أذهان العامة، فنرى بعضهم قد فسر الجنة بعالم الأفلاك، والنار بعالم ما تحت فلك القمر ــ وهو عالم الدنيا ــ والملائكة ــ في نظرهم ــ ما هي إلا كواكب الأفلاك.

وهذا ابن سينا ــ على سبيل المثال ــ يفسر العرش في قوله تعالى {**ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية** }[1] بأنه الفلك التاسع الذي هو فلك الأفلاك. ويفسر الملائكة الثمانية ــ التي تحمل العرش ــ بأنها الأفلاك الثمانية التي تحت الفلك التاسع. ولا يخفى أن هذا هو عين مذهب الباطنية، القائل بأن ظواهر القرآن غير مراده.

وبالجملة فإن أكثر الفلاسفة يسيرون ــ في تفسير القرآن الكريم ــ على نمط واحد هدام لمقاصد القرآن ومراميه، ذلك ما يعبرون عنه بالرموز والإشارات[2].

****

(١) سورة الحاقة آية (١٧).

(٢) راجع التفسير والمفسرون ٢/٤٢٠ وما بعدها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجمود والتوقف بالنص على ما تنطق به اللغة دون نظر إلى الضوابط الشرعية والعقلية

فقد يكون منشأ الدخيل والباعث عليه في التفسير هو الجمود، والتوقف بالنص على ما ينطق به ظاهر اللغة، مع الطرح التام، وبالكلية لمقتضى الضوابط العقلية، والأصول الشرعية. ويمثل هذا الاتجاه في التفسير فرقة الخوارج. فإنهم نظروا إلى القرآن الكريم من خلال عقيدتهم، فما رأوه في جانبهم تمسكوا به، وما لم يروه كذلك حاولوا التخلص منه؛ بصرفه وتأويله، بحيث لا يبقى متعارضاً مع آرائهم وتعاليمهم، وقد سيطر مذهبهم على عقولهم، فأصبحوا لا ينظرون إلى القرآن إلا على ضوئه، ولا يدركون شيئاً من معانيه إلا تحت سلطانه، ولا يأخذون من القرآن إلا بقدر ما ينصر مذهبهم. وقد تمسكوا في ذلك بمنطوق النص في اللغة، دون النظر إلى ما يشتمل عليه النص من الضوابط الشرعية.

فعلى سبيل المثال: يرى الخوارج أن مرتكب الكبيرة كافر، مخلد في النار، وفي سبيل تأكيد هذا الرأي، والانتصار له نراهم يستدلون بآيات من القرآن الكريم مع أنها لا تؤيد ما ذهبوا إليه.

ومن ذلك قوله تعالى **(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)**[1] قالوا: فجعل تارك الحج كافراً.

---

(١) سورة آل عمران آية رقم (٩٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوله تعالى (إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) [1] فقالوا: والفاسق لفسقه والإصرار عليه آيس من روح الله، فكان كافراً.

وقوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)[2] قالوا: وكل مرتكب للذنوب فقد حكم بغير ما أنزل الله، فهو كافر. وقوله تعالى (ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور) [3] قالوا الفاسق لابد أن يجازى، فوجب أن يكون كفوراً. وغير ذلك من الآيات التي تمسك بها الخوارج في موقفهم من مرتكب الكبيرة، وحسبوا أنها حجج دامغة لمذهب مخالفيهم، في حين أن سياق الآيات لا يؤيد ما ذهبوا إليه.

وأما نظرتهم إلى القرآن الكريم، فكانت نظرة سطحية، ولم تكن الآيات التي يستدلون بها ــ في أغلب الأحيان ــ تنطق بما يقصدونه. ومن ذلك: أن بعضهم أحل الزواج من بنات الأولاد، وبنات أولاد الأخوة والأخوات. ويستدل على ذلك فيقول: إنما ذكر الله في تحريم النساء بالنسب: الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت. ولم يذكر بنات البنات ولا بنات البنين ولا بنات أولاد الأخوة ولا بنات أولاد الأخوات[4].

****

(١) سورة يوسف آية رقم (٨٧).

(٢) سورة المائدة آية رقم (٤٤).

(٣) سورة سبأ آية رقم (١٧).

(٤) انظر التفسير والمفسرون ٣٠٥/٢ وما بعدها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النزاع في الصفات الخبرية

وهي الصفات الموهمة للتشبيه. المعني بها عندهم: صفات ذات خصيصتين: الأولى: أن العقل لا يوجب اتصافه تعالى بشيء منها، بمعنى أنه لا تتوقف البتة عند العقل ــ على ثبوت شيء من تلك الصفات ــ ألوهيته سبحانه. والثانية: أن لا نعلم من حقائقها إلا أبعاضاً أو أعراضاً جسمانية أو وجدانية نفسية محدثة لا يليق قيامها بالرب جلا وعلا. ومن ذلك: الآيات التي تثبت لله تعالى وجهاً أو يدين أو عيناً أو جهة أو جنباً أو روحاً أو فوقية أو مجيئاً أو استواء أو نحو ذلك.

فقد يكون منشأ الدخيل، والباعث عليه في التفسير هو التمسك بظواهر النصوص القرآنية والجمود في الأخذ بها، مع الطرح لمقتضى المعقول بالكلية، دون أدنى مبالاة بما قد يكون قائماً بالفعل من المنافرة بين منطوق بعض الظواهر، وما يقتضيه العقل من امتناعها، ووجوب المصير إلى تأويلها. ويمثل هذا الاتجاه في التفسير كل من المشبهة والمجسمة.

فإن الاختلاف في هذه الصفات، والنزاع فيها قد ترتب عليه الكثير من الدخيل، سواء في التفسير بالرأي أم في التفسير بالمأثور. فأما من حيث التفسير بالمأثور: فإن صاحب كل مذهب اجتهد في وضع الأحاديث التي تؤيد مذهبه. وأما من حيث التفسير بالرأي: فإن الناس في هذه المسألة بين جامد عند الظواهر، قائل بإرادة الحقائق اللغوية، المفهومة بأعيانها من تلك الظواهر ــ وهم المشبهة والمجسمة، فإن منهم من قال: إنه تعالى على صورة شيخ كبير، ومنهم من قال: إنه تعالى على صورة شاب حسن. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ــ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وآخر مصروف عن الظواهر، رافض لإرادة الحقائق اللغوية المفهومة منها[1].

طريقة أهل السنة في تفسير الصفات الموهمة للتشبيه:

إذا ورد في القرآن الكريم أو السنة ما يشعر بإثبات الجهة أو الجسمية أو الصورة أو الجوارح أو نحو ذلك لله تعالى، فإن أهل الحق وغيرهم ـ ما عدا المجسمة والمشبهة ـ قد اتفقوا على تأويل ذلك، لوجوب تنزيهه تعالى عما دل عليه ما ذكر بحسب ظاهره. لأنه يلزم من اتصافه تعالى بهذه الصفات مشابهته تعالى للحوادث. والله تعالى منزه عن ذلك. قال الحافظ السيوطي: ومن هنا اتفق الأئمة والمحققون من السلف والخلف بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره ـ في مثل هذه الأمور ـ محال[2].

ولكنهم بعد أن اتفقوا على التأويل الإجمالي، اختلفوا في تعيين المراد من النص، فالسلف يقولون: نؤمن بهذه النصوص كما جاءت، ونفوض الله تعالى في المعنى المراد منها، مع تنزيهه سبحانه وتعالى عن مشابهة الحوادث، لأنه **{ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}**[3] وأما الخلف: فإنهم يؤولونها على معنى يليق بجلال الله تعالى.

وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

فمن النصوص التي توهم الجهة: قوله تعالى **{ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ**

---

(١) راجع تحفة المريد على جوهرة التوحيد للبيجوري (١٠٨)، الدخيل في التفسير للدكتور إبراهيم خليفة (١٤٨، ١٦٥).

(٢) انظر تحفة المريد (١٠٨)، الإتقان في علوم القرآن للحافظ السيوطي ٣/٢.

(٣) سورة الشورى آية رقم (١١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويفعلون ما يؤمرون }[1] وقوله { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ }[2] فجمهور السلف والخلف متفقون على أن الفوقية هنا ليست على حقيقتها، لأن الظاهر يقضي القول بالجهة، والله تعالى منزه عن الجهة، لأنها محدثة بحدوث العالم، ويلزم من كونه تعالى في جهة مفاسد لا تخفى. ومن هنا اتفق السلف والخلف على صرف اللفظ عن حقيقته. ولكنهم اختلفوا بعد ذلك، فالسلف يقولون: فوقية لا نعلمها. والخلف يقولون: المراد بالفوقية: التعالي في العظمة.

ومن النصوص التي توهم الجسمية: قوله تعالى {**وجاء ربك**}[3] فالسلف يقولون: مجيء لا نعلمه. والخلف يقولون: جاء عذاب ربك أو أمر ربك.

ومذهب الخلف وإن كان له وجهة ــ لكونه أحكم ــ فإن مذهب السلف أحوط وأسلم، لما فيه من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد له تعالى. فالأولى أن يؤمن المسلم بهذه الآيات كما جاءت، ويفوض الله تعالى في علم المراد منها، وينزهه تعالى عن مماثلة الحوادث.

يقول الحافظ السيوطي: وجمهور أهل الحديث على الإيمان بها، وتفويض معناها المراد إلى الله تعالى، ولا يفسرونها، مع تنزيهه تعالى عن حقيقتها. وقال ابن الصلاح: على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وسادتها، وإياها اختار أئمة الفقهاء وقادتها، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه، ولا أحد من المتكلمة من أصحابنا يصدف عنها ويأباها. وقال الإمام الرازي: هذا هو المذهب الذي نختاره، ونقول به، ونعتمد عليه[4].

---

(١) سورة النحل آية رقم (٥٠).

(٢) سورة الأنعام آية رقم (١٨).

(٣) سورة الفجر آية رقم (٢٢).

(٤) الإتقان ٢/ ٥، ٦، مفاتيح الغيب ١١/ ١١٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التنطع والتفلسف في استعراض المقدرة اللغوية

فقد يكون منشأ الدخيل، والباعث عليه في التفسير هو التقعر، والتعسف في استعراض المقدرة اللغوية أو الإعرابية، والإتيان من ذلك بالبدع والغرائب.

ويمثل هذا اللون: بعض متنطعة اللغويين.

فإن أكثر من صنف في التفسير ــ من النحاة واللغويين ــ استطرد في فروع النحو خلافاته. واعتنى النحاة ــ في تفاسيرهم ــ بالمسائل النحوية والأدبية والبلاغية أكثر من اعتنائهم بالمباحث التفسيرية ذاتها، وتوسعوا في كثير من المسائل التي لا تحتاج إلى توسع. حتى طغت مباحث اللغة على معظم كتب التفسير، وتحولت مصنفاتهم من مصنفات في التفسير إلى مراجع في النحو والصرف واللغة والبلاغة.

وأشد هذا النوع خطورة إنكار القراءات المتواترة، فإن الأمر لم يقف بهؤلاء في التفسير عند حد الاستطراد في مباحث النحو خلافاته، وتغليب اللغة على مباحث التفسير ذاته، بل إن أكثرهم استغل العلم بالنحو واللغة استغلالاً سيئاً، حتى أننا وجدنا منهم من ينكر القراءة المتواترة، إن تعارضت ــ فيما يبدو لهم ــ مع بعض القواعد النحوية.

وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

١ــ قراء حمزة رضي الله عنه **{واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامِ}**[1] بجر (الأرحام).

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد (٢٢٦)، التذكرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (٣٧١) والآية رقم (١) من سورة النساء.

التنطع والتفلسف في استعراض المقدرة اللغوية

فقد يكون منشأ الدخيل، والباعث عليه في التفسير هو التقعر، والتعسف في استعراض المقدرة اللغوية أو الإعرابية، والإتيان من ذلك بالبدع والغرائب. ويمثل هذا اللون: بعض متنطعة اللغويين.

فإن أكثر من صنف في التفسير ــ من النحاة واللغويين ــ استطرد في فروع النحو خلافاته. واعتنى النحاة ــ في تفاسيرهم ــ بالمسائل النحوية والأدبية والبلاغية أكثر من اعتنائهم بالمباحث التفسيرية ذاتها، وتوسعوا في كثير من المسائل التي لا تحتاج إلى توسع. حتى طغت مباحث اللغة على معظم كتب التفسير، وتحولت مصنفاتهم من مصنفات في التفسير إلى مراجع في النحو والصرف واللغة والبلاغة.

وأشد هذا النوع خطورة إنكار القراءات المتواترة، فإن الأمر لم يقف بهؤلاء في التفسير عند حد الاستطراد في مباحث النحو خلافاته، وتغليب اللغة، على مباحث التفسير ذاته، بل إن أكثرهم استغل العلم بالنحو واللغة استغلالاً سيئاً، حتى أننا وجدنا منهم من ينكر القراءة المتواترة، إن تعارضت ــ فيما يبدو لهم ــ مع بعض القواعد النحوية.

وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

١ــ قراء حمزة رضي الله عنه **{واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامِ}**[1] بجر (الأرحام).

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد (٢٢٦)، التذكرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (٣٧١) والآية رقم (١) من سورة النساء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهي قراءة متواترة عن رسول ﷺ قرأ بها حمزة، وهو أحد القراء السبعة، الذين انعقد الإجماع على تلقى قراءتهم بالقبول. ولم يقرأ حمزة وحده بهذه القراءة، وإنما قرأ بها سلف الأمة، واتصلت بأكابر الصحابة، الذين تلقوا القرآن من في رسول الله ﷺ من أمثال عثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت(١).

وقد رد كثير من المفسرين هذه القراءة، وعابوا على حمزة لأنه قرأ بها. وأول من رد هذه القراءة، وشنع على حمزة: أبو العباس المبرد، وقبحها الفراء، وخطأها الزجاج، وأنكرها النحاس، وضعفها الزمخشري والبيضاوي والنسفي وابن الأنباري والطبري.

وقد رد هؤلاء المفسرون هذه القراءة، وأنكروها لأنهم يرون أن لا وجه لجر (الأرحام) إلا العطف على الضمير المجرور في (به) وهو ضعيف في العربية، ممتنع عندهم. لأن القاعدة تنص على أنه لا يجوز العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الخافض، لأن الضمير المجرور كبعض الكلمة، فكما لا يجوز العطف على بعض الكلمة، فكذلك لا يجوز العطف على الضمير المجرور.

قال ابن عصفور: والسبب في ذلك: أن ضمير الخفض شديد الاتصال بما قبله، فينزل ــ لذلك ــ معه منزلة شيء واحد، فلو عطفت من غير إعادة الخافض، لكنت عطفت اسماً واحداً على اسم وحرف، إذ لا يتصور أن يعطف على بعض الكلمة دون بعض.

---

(١) راجع البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي٣ /١٥٩، روح المعاني٤/ ٢٨٩، حاشية السيوطي١/ ٢٢٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هكذا رد هؤلاء النحاة القراءة لمجرد أنها خالفت اللغة ــ فيما بدا لهم ــ وكأنهم ألموا بجميع قواعد اللغة ــ فلم يغب عنهم من ذلك شاردة ولا واردة ــ دون اعتبار لتواتر الرواية، ولا من رويت عنه. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن الشريف الرضى لم يسلم بتواتر القراءات، وبالغ في إنكار القراءة، وزعم أن حمزة إنما قرأ بذلك بناء على مذهب الكوفيين، لأنه كوفي[1].

والذي أدين لله تعالى به أن القراءة المتواترة حجة، فلا تُرد بحال ــ وإن خالفت اللغة ــ لأن القراءة أصل يحتج به على اللغة، ولا يحتج باللغة على القراءة، فلو كانت القراءة منافية للعربية لوجب قبولها بعد تحقق صحة نقلها. لأن معنى كونها متواترة أنها ثابتة عن النبي ﷺ والطعن فيها ــ كما يقول العلامة الألوسي ــ تغليط للرسول ﷺ بل هو تغليط لله عز وجل، نعوذ بالله من ذلك، فمن طعن في القراءة المتواترة قارب أن يقع في الكفر.

قال ابن يعيش ــ في شرح المفصل ــ: ضعف أكثر النحويين قراءة حمزة (والأرحامِ) نظراً إلى العطف على المضمر المخفوض، وقد ردها أبو العباس المبرد، وقال: لا يحل القراءة بهذا. وهذا القول غير مرضي منه، لأنه قد رواه إمام ثقة، ولا سبيل إلى رد نقل الثقة، مع أنه قد قرأ بها جماعة من غير السبعة، كابن مسعود وابن عباس وإبراهيم النخعي والأعمش والحسن البصري وقتادة ومجاهد. وإذا صحت الرواية لم يكن سبيل إلى ردها[2].

---

(١) راجع المقتضب للمبرد٤/١٥٢، معاني القرآن للفراء١/٢٥٢، معاني القرآن للزجاج٢/٦، إعراب القرآن للنحاس١/ ٤٣١، الكشاف١/٤٦٢، جامع البيان للطبري ٣/٧٤٣، البيان لابن الأنباري١/ ٢٤٠، تفسير النسفي١/٢٥٠، تفسير البيضاوي (١٣٠)، شرح الجمل لابن عصفور١/ ٢٢٣، شرح الرضى على الكافية١/٥٢٢.

(٢) راجع روح المعاني ٨ / ٤٩، شرح المفصل لابن يعيش٣ / ٧٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والقراءة ليست مخالفة للعربية:

ثم إن هذه القراءة ليست مخالفة للغة، لأن من ردها إنما ردوها على مذهب البصريين؛ الذين لا يجوزون العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الخافض. وأما الكوفيون فإنهم يجوزون العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الخافض. وهو مذهب الأخفش وابن جني وقطرب وابن مالك وابن عقيل ويونس والجرمي والزيادي وابن هشام وابن يعيش وابن الشلوبيين. وهو المذهب الصحيح، لأن السماع يؤيده والقياس يقويه.

وقد جاء مثل ذلك في قوله تعالى (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ**)[1]. فلا وجه لجر (المسجد) إلا العطف على الضمير المجرور في (به). كما جاء مثل ذلك في قول الشاعر:

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيامِ من عجب

بجر الأيام، ولا وجه لجره إلا العطف على الضمير المجرور في بك.

قال ابن مالك: والجواز أصح من المنع، لضعف احتجاج المانعين، وصحة استعماله نظماً ونثراً. وقال أبو حيان: والذي نختاره: جواز العطف عليه مطلقاً، لتصرف العرب في العطف عليه[2].

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢١٧).

(٢) انظر الكتاب لسيبويه١/ ٣٩١، الإنصاف لابن الأنباري٢/٢٧٢، الجمل للزجاجي (١١٧) شرح المفصل لابن الحاجب ١/٢٦٥، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك (٥٣) ارتشاف الضرب من كلام العرب لأبي حيان ٢/٢٥٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبهذا يتبين لنا أن العطف على الضمير المجرور غير ممتنع في اللغة ـ لأنه مذهب البصريين وحدهم ـ وأنه جائز على مذهب الكوفيين وغيرهم، وهو المذهب الصحيح. فاللغة ليست محصورة في أقوال البصريين، ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم، فكم حكم ثبت بقول الكوفيين من كلام العرب لم ينقله البصريون، وكم حكم ثبت بقول البصريين لم ينقله الكوفيون[1]. واللغة تؤخذ من القرآن، ولا يقاس القرآن على اللغة. وجر (الأرحام) هنا دليل على صحة العطف على الضمير المجرور.

قال ابن الجزري: كم قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو أكثر منهم، ولم يعتبر إنكارهم، بل أجمع الأئمة المقتدى بعلمهم من السلف على قبولها، كخفض (الأرحام). وقال الإمام الرازي: والعجيب من هؤلاء النحاة أنهم يستحسنون إثبات اللغة بأبيات مجهولة، ولا يستحسنون إثباتها بقراءة حمزة ومجاهد، مع أنهما كانا من أكابر علماء السلف[2].

وللقراءة تخريج آخر:

فليس العطف على الضمير المجرور ـ مع جوازه ـ هو التخريج الوحيد للقراءة حتى يردها من أنكر ذلك، بل إن هناك تخريجاً آخر ـ ذكره ابن يعيش وابن جني ـ تتوجه القراءة عليه، وهو أن يقدر (باء) محذوفة تقدم ذكرها. والتقدير: وبـ(والأرحام) فـ(الأرحام) مجرورة بـ(الباء) المحذوفة. أو أن تكون (الواو) للقسم، والتقدير: أقسم بالأرحام. ومن هنا فقد تلقى جمهور

---

(١) انظر البحر المحيط ٣/ ١٥٩، روح المعاني ٤/٢٨٩، حاشية السيوطي ١/٣٥٩.

(٢) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٥٤) مفاتيح الغيب ٨/٦٥٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المفسرين هذه القراءة بالقبول، ولم يأبهوا ــ في ذلك بأقوال النحاة واللغويين[1].

وعلى ذلك فيكون لفظ (الأرحام) مجروراً بـ(الباء) المحذوفة، أو على القسم، وقد كثر مجيئ مثله في كلام العرب، إذ أنهم كانوا يتساءلون بالله والأرحام، فيقول الواحد منهم لصاحبه: أسألك بالله، وبالرحم. كما قال تعالى (وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ) [2].

٢ ــ قرأ ابن عامر **(وكذلك زُين لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائِهم)** [3] ببناء (زُين) على المفعول، ورفع (قتل) ونصب(أولادهم) وجر(شركائهم) على إضافة القتل للشركاء، والفصل بينهما بغير الظرف، وهو المفعول[4].

وقد أنكر كثير من اللغويين، وبعض المفسرين هذه القراءة، للفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف. فالزمخشري ــ كعادته ــ أنكر هذه القراءة، وجعلها سمجة مردودة. وقال: إن الذي حمل ابن عامر على هذه القراءة أنه رأي في بعض المصاحف (شركاؤهم) مكتوباً بـ (الياء). وضعفها ابن عطية، وقال: إن رؤساء العربية لا يجوزون الفصل في مثل هذا إلا في الشعر. وقبحها أبو علي الفارسي، وقال: لو عدل ابن عامر عنها كان أولى. وقال أحمد بن حمدان النحوي: قراءة ابن عامر لا تجوز في العربية، وهي زلة عالم، وإذا

---

(١) الخصائص في النحو لابن جني١/٢٨٥، شرح المفصل لا بن يعيش٣/٧٨، تفسير القرطبي٢/١٦٦٨، الرازي٨/ ٦٥٣.

(٢) سورة النساء آية رقم (١).

(٣) سورة الأنعام آية رقم (١٣٧).

(٤) التبصرة (٥٠٤)، السبعة (٢٧١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

زل العالم لم يجب إتباعه[1].

وقد أنكر كثير من العلماء هذا المسلك على هؤلاء اللغويين والمفسرين.

فقال ابن كمال باشا: إن وقوع الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف هنا: دليل الصحة، لأن العربية تثبت بالقرآن، وفهم العكس من عكس المفهوم. وقال ابن المنير: إن الزمخشري تخيل القراءة اختياراً واجتهاداً لا نقلاً وإسناداً، ونحن نعلم أن هذه القراءة قرأها النبي ﷺ على جبريل، كما أنزلها إليه، وبلغت إلينا بالتواتر عنه، فالوجوه السبعة متواترة عن أفصح من نطق بالضاد جملاً وتفصيلاً، فلا مبالاة بقول الزمخشري وأمثاله، ولولا عذره أن المنكر ليس من أهل علمي القراءات والأصول لخيف عليه الخروج من ربقة الإسلام بذلك.

وقال الكواشي: كلام الزمخشري يشعر أن ابن عامر قد ارتكب محظوراً، وأنه غير ثقة، لأنه يأخذ القراءة من المصحف لا من المشايخ، ومع ذلك أسندها إلى النبي ﷺ وهو جاهل بالعربية، وليس الطعن في ابن عامر طعناً فيه، وإنما هو طعن في علماء الأمصار ــ حيث جعلوه أحد القراء السبعة المرضية ــ وفي الفقهاء حيث لم ينكروا عليهم إجماعهم على قراءته، وأنهم يقرؤونها في محاريبهم. والله أكرم من أن يجمعهم على الخطأ.

وقال أبو حيان: أعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في كلام العرب، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة، وزعم أنهم إنما يقرؤون من عند أنفسهم. وقال مكي: لم أر أحداً يحمل قراءته ــ يعني ابن عامر ــ إلا على الصحة والسلامة، وقراءته

---

(١) الكشاف٢/٤٢، البحر المحيط٤/ ٢٢٩، تفسير القرطبي٣/ ٢٦١٣، المحرر الوجيز٦/ ١٥٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لعمل يستدل به، لا له[1].

والقراءة ليست مخالفة للعربية:

لقد أنكر الزمخشري وغيره قراءة ابن عامر، للفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف وهو ــ على قولهم ــ ضعيف في العربية. وهذا هو مذهب البصريين، ــ وهو مذهب ضعيف مردود. والصحيح في ذلك مذهب الكوفيين ــ الذين يجوزون الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف ــ لورود ذلك في هذه القراءة المتواترة، وكفى بذلك دليلاً، وقد جاء مثل ذلك في كلام العرب، ومن ذلك: قول عمرو بن كلثوم: **فداسهم دوس الحصاد الدائس**

أي: دوس الدائس الحصاد، ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول.

ومن ذلك أيضا قوله

فزججتها بمزجة زج القلوص أبي مزاده

حيث أضاف المصدر إلى الفاعل، وفصل بينهما بالمفعول. ومن ذلك قول أبي جندل الطهوي:

يفركن حب السنبل الكنافج بالقاع فرك القطن المحالج

يريد فرك المحالج القطن. ومن ذلك أيضاً قول الشاعر:

تمر على ما تستمر وقد شفت غلائل عبد القيس منها صدورها

---

(١) الانتصاف لابن المنير٢/٦٩، تفسير ابن كمال باشا لوحة رقم (٢١٧)، البحر المحيط٤/٢٣٠، حاشية السيوطي٢/ ٧٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فعبد القيس فاعل شفت، وقع فصلا بين [illegible]

والمضاف إليه، وهو صدورها. ومن هذا قول الفرزدق:

نفي الدراهم تنقاد الصيارف تنفي يداها الحصى في كل هاجرة

فالدراهم بالنصب فصل بين نفي وتنقاد. وغير ذلك من الأمثلة العديدة التي تدل جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف، والوقوع ـ كما يقولون ـ هو أقوى أدلة الجواز[1].

وقد ذهب كثير من النحاة إلى جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف. ومن هؤلاء: ابن مالك وابن عصفور والصبان وأبو حيان وغيرهم. قال ابن مالك في كافيته:

جَزْأي إضافة وقد يستعمل وظرف أو شبهه قد يفصل

وفي اختيار قد أضافوا المصدرا فصلان في اضطرار بعض الشعرا

كقول بعض القائلين للرجز لفاعل من بعد مفعول حجز

بالقاع فرك القطن المحالج بمركن حب السنبل الكنافج

وكم لها من عاضد وناصر وعدتي قراءة ابن عامر

وقال في الشرح: إضافة المصدر إلى الفاعل ـ مفصولاً بينهما بمفعول المصدر ـ جائزة في الاختيار، إذ لا محذور فيها، مع أن الفاعل كجزء من عامله، فلا يضر فصله، لأن رتبته مشبهة عليه، والمفعول بخلاف ذلك، فعلم بهذا

---

(١) حاشية الصبان ٢/٢٢٣، الدر المصون ٥/١٧١، ديوان الفرزدق (٥٢٠)، ديوان عمرو كلثوم (٦٢).

ل قراءة ابن عامر غير منافية لقياس العربية، على أنها لو كانـــت منافيـــة لـــه لوجب قبولها ــ لصحة نقلها ــ كما قبلت أنباء نحاة القياس بالنقل، وإن لم تساو صحتها صحة القراءة المذكورة، ولا قاربتها[1].

****

(١) شرح الكافية في النحو لابن مالك ٢/٩٧٨، التسهيل لابن مالـــك ٢/ ١٨٢، الخصـــائص لابن جني ٢/٤٠٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التفلسف والتنطع في استنباط المعاني الغربية

بأن يكون منشأ الدخيل، والباعث عليه في التفسير هو التفلسف المتنطع في طلب ما بين السطور، واستنباط معان غريبة، تعز على الوهم والخيال، فضلا عن العقل والسياق والمطابقة لمقتضى الحال. ويمثل هذا الاتجاه: شطحات التصوف الفلسفي.

فقد كان لشطحات المتصوفة، وخوضهم في خضم الرموز والألغاز ـ التي تتناسب مع رياضاتهم وتتفق مع مشاربهم ـ الأثر السيئ في كثرة الدخيل في التفسير. فقد سلك المتصوفة في تفسير القرآن الكريم مسالك شتى، تنطلق كلها من منطلق واحد ـ وهو أن للقرآن ظاهراً وباطناً ـ وقد تعددت مسالكهم في ذلك؛ من جهة قرب المعاني أو بعدها، ومن جهة اعتبار المعاني اللغوية الظاهرة أو عدم اعتبارها، ومن جهة إفرادهم القرآن بهذا التفسير أو جمعهم بينه وبين التفسير الظاهر المعروف.

فمنهم من أغرق في شذوذ فهمه، وأسرف في غرابة قوله بما ينكره عليه كل مسلم، إذ لا شرع يقويه، ولا لغة تبرر مسلكه. ومنهم من فهم من الآيات إشارات اعتبرها أحد الاحتمالات من معاني الآية، مع عدم قطعه بأن ذلك هو المراد.

ومنهم من فسر الآية أولاً بما تقتضيه اللغة وقواعد التفسير، ثم ذكر بعد ذلك ما فهمه من باطن الآية. والكثير منهم فسر القرآن الكريم تفسيراً نظرياً، وذلك بصرف آيات القرآن عن معانيها الظاهرة إلى تقرير ما وقر في نفس المفسر من فلسفات غريبة يرفضها المسلمون.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما أننا نرى الكثير منهم يتعسفون في فهمهم للآيات، ويشرحونها شرحاً يخرج بها عن ظاهر القرآن الكريم. ومن ذلك: أنهم أولوا قوله تعالى {**إن الله لمع المحسنين**}[1] تأويلا سخيفاً، فجعلوا كلمة (لمع) فعلاً ماضياً، بمعنى الإضاءة، وكلمة (المحسنين) مفعوله. وفسروا قوله تعالى{**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**}[2] بأن معناه (من ذل) أي من الذل (ذي) إشارة إلى النفس (يشف) من الشفا، جواب من (ع) أمر من الوعي.

وقد سئل شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني عن هذا التفسير، فأفتى بأن الذي يفسر القرآن بهذه الطريقة فهو ملحد، وقد قال الله تعالى { **إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيَ آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ** }[3].

وأغلب تفسير المتصوفة يقوم على نظرية وحدة الوجود، التي تقوم على أساس أنه ليس هناك إلا وجود واحد، وكل العالم مظاهر له، فالله هو الموجود بحق، وكل ما سواه ظواهر وأوهام.

فمثلاً نرى ابن عربي عند ما تعرض لقوله تعالى { **يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ** }[4] يقول: (**اتقوا ربكم**) اجعلوا ما ظهر منكم وقاية لربكم واجعلوا ما بطن منكم ــ وهو ربكم ــ وقاية لكم، فإن الأمر ذم وحمد، وكونوا وقاية في الذم واجعلوه وقايتكم في الحمد تكونوا أدباء عالمين[5].

---

(١) سورة العنكبوت آية رقم (٦٩).

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٥٥).

(٣) انظر الإتقان ١٨٤/٢ والآية رقم (٤١) من سورة فصلت.

(٤) سورة النساء آية رقم (١).

(٥) التفسير والمفسرون٢/ ٣٤٢ نقلاً عن الفصوص لابن عربي١/ ٥٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والتفسير بهذه الطريقة ـ كما هو واضح ـ يخرج بالقرآن عن هدفه الذي يرمي إليه. وأعلبه كفر وإلحاد، يذهب بالدين عن أساسه. وما كان للمسلم أن يقبل مثل هذا التفسير، مهما كان قائله.

فهذا المذهب هو الذي خول لمثل الحلاج أن يقول: أنا الله. ولعل ابن عربي أن يقول: أنا عجل بني إسرائيل، أحد المظاهر التي اتخذها الله وحل فيها. والذي جره فيما بعد إلى القول بوحدة الأديان. وهو الذي جعل ابن عربي يقول في قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ)[1] يا محمد إن الذين كفروا: ستروا محبتهم في، دعهم، فسواء عليهم أنذرتهم ـ بوعيدك الذي أرسلتك به ـ أم لم تنذرهم لا يؤمنون بكلامك. فإنهم لا يعقلون غيري، وكيف يؤمنون بك وقد ختمت على قلوبهم، فلم أجعل فيها متسعاً لغيري، وعلى سمعهم، فلا يسمعون كلاماً في العالم إلا مني، وعلى أبصارهم غشاوة من بهائي عند مشاهدتي، فلا يبصرون سواي. ولهم عذاب عظيم عندي، أردهم بعد هذا المشهد السني إلى إنذارك، فأحجبهم عني كما فعلت بك بعد قاب قوسين أو أدنى قرباً، وأنزلتك إلى من يكذبك، وتسمع ما يضيق له صدرك[2].

ومن هنا فقد نقم كثير من العلماء ـ وعلى رأس هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ الذهبي ـ على هذا النوع من التفسير، ورموا من فسر القرآن بهذه الطريقة بالكفر والإلحاد، وذلك لأنه يجر إلى القول بوحدة الوجود، ولأن أكثر ما صدر عنهم من أقوال في التفسير يحمل في ظاهره كل معاني الكفر.

.....

(١) سورة البقرة آية رقم (٦).

(٢) التفسير والمفسرون ٢/ ٢٤٧ نقلاً عن الفتوحات المكية لابن عربي ١/ ١١٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإسراف في إبراز إعجاز القرآن الكريم

فقد يكون منشأ الدخيل، والباعث عليه في التفسير هو القصد إلى إبراز المزيد من أوجه إعجاز القرآن المجيد في كل فن ولون، لاسيما الإعجاز العلمي، مع الجهل القبيح أو التجاهل السخيف بأهداف القرآن العليا، وغاياته السامية، وبدون النظر إلى سياق النص وسابقه ولاحقه، وهل يساعد ذلك على هذا المعنى أو لا؟ ويمثل هذا اللون: بعض المنتسبين إلى العلوم المعاصرة.

وهذا النوع من التفسير يعرف بالتفسير العلمي. والمراد بالتفسير العلمي: التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها[1] فالقرآن في نظر أصحاب هذه الطريقة يشمل ــ إلى جانب العلوم الدينية؛ الاعتقادية والعلمية ــ سائر علوم الدنيا على اختلاف أنواعها وتعدد ألوانها.

وقد كان لهذا الاتجاه أثره السيئ في انتشار الدخيل في كتب التفسير، فقد حاول كثير من العلماء ــ الذين سلكوا هذا المسلك ــ أن يحملوا آيات القرآن ما لا تحتمله، وتعسفوا في ذلك تعسفاً ظاهراً، جعل تفسيرهم لهذه الآيات يندرج تحت التفاسير المنحرفة.

ولم يكن هذا الاتجاه ــ في تفسير القرآن ــ وليد هذا العصر، وإنما هو اتجاه قديم، له جذوره الممتدة إلى الوراء، فقد ظهر هذا اللون واتسع القول به منذ عصور إسلامية متقدمة.

والقصد من هذه النزعة التوفيق بين القرآن والعلوم الحديثة. وأول من

---

(١) التفسير، نشأته، تدرجه، تطوره، للأستاذ أمين الخولي (٤٩)، التفسير والمفسرون ٢/٤٧٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

استوفى بيان هذا الاتجاه والدعوة إليه: حجة الإسلام أبو حامد الغزالي. كما أكد عليه العلامة الزركشي، فقال في البرهان: وفي القرآن علم الأولين والآخرين، وما من شيء إلا ويمكن استخراجه منه، لمن فهمه تعالى. كما توسع الحافظ السيوطي في هذا الاتجاه، فخصص النوع الخامس والستين – من كتابه الإتقان – للعلوم المستنبطة من القرآن الكريم. بل إن هذه النزعة قد طبقت عملياً ضمن محاولات الفخر الرازي في تفسيره. ثم إنها قد راجت بين العلماء في العصر الحاضر رواجاً عظيماً، ولقيت عند الكثير منهم قبولا، ونتج عن ذلك مؤلفات كثيرة واسعة تسير على ضوء هذا الفكر[1].

ومن أشهر الكتب المؤلفة في هذا الاتجاه: كتاب الجواهر للأستاذ طنطاوي جوهر، فقد فسر مؤلفه القرآن الكريم تفسيراً علمياً بحتاً، وأثبت في هذا الكتاب غرائب العلوم وعجائب المخلوقات، وشرح بعض الحقائق الدينية بما جاء عن أفلاطون، واستخدم العلوم الرياضية في تفسير القرآن الكريم.

كما أنه استخرج كثيراً من علوم القرآن على حساب الجمل، الذي لا يُصدِّق مؤمن أنه يصل إلى حقيقة. وأكثر هذا الكتاب قائم على النظريات العلمية الحديثة، التي يقوم أكثرها على التأويلات والتعسفات. ومن ثم فإن هذا التفسير لم يلق قبولاً عند العلماء، بل إن الكثير منهم قد وجه اللوم لمؤلفه على تكلفه في هذا التفسير. ومن الأمثلة على هذا التفسير: قول صاحبه: إن علم تحضير الأرواح يستخرج من الحديث عن بقرة بني إسرائيل.

ومن الكتب المؤلفة في هذا الاتجاه أيضاً: كتاب الجانب العلمي في القرآن

---

(١) راجع إحياء علوم الدين للغزالي ١/ ٢٩٠، البرهان ٢/ ١٨١، الإتقان /١٢٦، التفسير والمفسرون ٢/ ٤٨٤، الاتجاهات المنحرفة في التفسير للذهبي (٩٢).

للدكتور صلاح الدين خطاب، فقد ضمنه مؤلفه الكثير من هذا النوع. ومن ذلك: ما ذكره من أن القرآن الكريم قد تنبأ بالهاتف والتلغراف والتلفاز والراديو، وذلك من خلال قوله تعالى { وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ }[1].

وقوله: إن العذاب في قوله تعالى { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ } ينطبق على القنابل النازلة من الطائرات من فوق الرءوس. وأما قوله {أومن تحت أرجلكم} فهو إشارة إلى الألغام والغواصات، التي تنصب في الأرض أو في البحر[2].

ومعلوم أن القرآن الكريم: كتاب هداية وإعجاز وتشريع، لم ينزل ليكون مرجعاً للطب ولا للهندسة، ولم يقصد به تقرير نظرية علمية. والذين يتكلفون في إخضاع الآيات القرآنية للنظريات العلمية، ويجهدون أنفسهم في استخراج الآراء الفلسفية ليقولوا: إن القرآن قد حاز علم الأولين والآخرين، وإنه سبق العلم الحديث، يوشك أن يخرجوا القرآن عن هديه الإنساني، والاجتماعي في إصلاح الحياة، والرجوع بها إلى الله عز وجل.

كما أننا إذا قلنا: إن آيات القرآن تحتمل كل شيء لأوقعنا الشك في عقائد المسلمين، وذلك لأن قواعد العلوم، وما تقرر عليه من نظريات لا قرار لها ولا بقاء. فرب نظرية علمية قال بها عالم اليوم، ثم ظهر خطؤه بعد زمن قليل أو كثير، وكم بين نظريات العلم ــ القديمة والحديثة ــ من تناف وتضاد، فهل يعقل أن يكون القرآن مشتملاً على جميع هذه النظريات المتنافية.

ومن ثم فإن هذه الفكرة ــ وإن كانت قد راجت عند بعض المتقدمين،

---

(١) الجانب العلمي في القرآن (١٩) والآية رقم (٥٣) من سورة سبأ.

(٢) المرجع السابق، والآية (٦٥) من سورة الأنعام.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وازدادت رواجاً عند بعض المتأخرين ـ فإنها لم تلق ذلك الرواج عند الكثير من العلماء المتقدمين كالشاطبي. والمتأخرين من أمثال: الشيخ محمود شلتوت، والأستاذ أمين الخولي، والأستاذ محمد رشيد رضا، والشيخ مصطفى المراغي، وغيرهم من العلماء الفضلاء[1].

والحق ـ فيما أراه ـ مع هؤلاء العلماء الأجلاء، لأن القرآن الكريم إنما هو كتاب هداية وإعجاز وتشريع، ولم يعن بهذا اللون من حياة الإنسان، وإنما يكفي المسلم أن يعلم أن القرآن لا يصادم حقيقة علمية ثابتة، وحسب القرآن أنه يمكن التوفيق بينه وبين ما جد وما يجد من نظريات وقوانين علمية تقوم على أساس من الحق، وتستند إلى أصل الصحة[2].

ونعمَ هي كلمة قالها العلامة الزرقاني: إن القرآن لم يجعل العلوم الكونية من موضوعه، وذلك لأنها خاضعة لقانون النشوء والارتقاء، وفي تفاصيلها من الدقة والخفاء ما يعلو على أفهام العامة، ثم إن أمرها هين بإزاء ما يقصده القرآن من إنقاذ الإنسانية العاثرة. ولا يقصد القرآن مطلقاً من ذكر الكون أن يشرح حقيقة علمية، ولا أن يحل مسألة حسابية.

والسبب في ذلك ـ كما يذكر فضيلته ـ أن أكثر النظريات العلمية غير مسلمة، وأكثر المسلم منها ـ في أغلب الأحيان ـ لا يستقر على حال، فإن أبحاثاً كثيرة لا تزال قلقة حائرة، بين إثبات ونفي، فما قاله علماء الهيئة بالأمس ينقضه علماء اليوم....إلى غير ذلك مما زعزع ثقتنا فيما يسمونه العلم، حتى أنه قد ألف كتاب نقض بالدليل والبرهان كثيراً من تلك المقررات. فهل يليق ـ بعد

---

(١) راجع التفسير والمفسرون /٤٩١، الموافقات للشاطبي٢/٦٩ـ ٨٢.

(٢) التفسير والمفسرون ٢/٤٩١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا كله ـ أن نحاكم القرآن إلى هذه العلوم المادية الفلقة الحائرة، بينما القـرآن هو تلك الحقيقة العلوية الثابتة المنزلة من أفق الحق الأعلى، الذي يعلـم السـر وأخفى[1].

.....

(١) مناهل ٢/ ٣٥٣ وما بعدها باختصار وتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بأن يكون منشأ الدخيل، والباعث عليه في التفسير هو الإلحاد المتعمد، والكيد المجنون لشريعة الإسلام ونبيه ﷺ بطرح معاني ألفاظ القرآن بالكلية، واختراع معان أخر، حسب الهوى والتشهي، وطوع العصبية الجاهلية، أو العقيدة الزائغة. ويمثل هذا الاتجاه: الباطنية والبهائية والقاديانية والبابية، ومن إليهم من كل من زاغ وألحد بتحريف القرآن عن مواضعه قديما وحديثاً.

بل إن هذا النوع من الدخيل في تفسير الرأي قد نشأ أول ما نشأ في حياته ﷺ ـ كما سبقت الإشارة إلى ذلك ـ نتيجة للإلحاد المتعمد؛ الذي يهدف إلى الانتصار لعبادة الأوثان، وإسقاط حجية القرآن الكريم. وقد اتضح لنا ذلك من خلال الشبه التي أثارها المشركون حول بعض آيات القرآن الكريم، ليظهروه بمظهر الساقط المتهافت، بإظهار التناقض والاختلاف بين بعض نصوصه، حتى يجردوا نبيه عليه السلام من الحجة، ويظهروه على رءوس الأشهاد بمظهر الأفاك الأثيم[1].

والأمثلة على هذا اللون عديدة. وهي تكشف لنا بقدر معقول عن نشأة هذا اللون من ألوان الدخيل في حياته ﷺ وإليك بعضاً من هذه الأمثلة.

المثال الأول: شبهة المشركين على ما جاء في قوله تعالى ـ في شأن عبادة الأصنام ـ **(إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ)**[2] فقد قال المشركون: إن الملائكة وعزيراً وعيسى يعبدون من دون

---

(١) راجع الدخيل في التفسير للدكتور إبراهيم خليفة (٤١).

(٢) سورة الأنبياء آية رقم (٩٨).

الله، أكل هؤلاء في النار مع آلهتنا؟!

ولقد تصدى الله تعالى لهذه الشبهة، فردها بأفصح أسلوب وأنصع بيان، وأقام الحجة على الكافرين، ورد كيدهم، فانقلبوا على أعقابهم خاسرين. فقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: جاء عبد الله بن الزبعرى[1] إلى النبي ﷺ فقال: تزعم أن الله أنزل عليك هذه الآية (**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**) فقال ابن الزبعرى: قد عُبدت الشمسُ والقمر والملائكة وعزير وعيسى ابن مريم، أكل هؤلاء في النار مع آلهتنا ؟! فنزلت (**وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**)[2] ثم نزلت (**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**)[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزل قوله تعالى (**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**) قال المشركون: فالملائكة وعزير وعيسى يعبدون من دون الله!! فنزلت (**لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها**) الآلهة التي يعبدون (**وكل فيها خالدون**)[4].

---

(١) هو عبد الله بن الزبعرى ــ والزبعرى: هو سيئ الخلق ــ بن قيس السهمي، حارب المسلمين إلى أن فتحت مكة، ثم أسلم، توفي سنة (١٥)هـ الأغاني لأبي فرج الأصفاني٤/٨٧ الأعلام للزركلي ٤/ ٨٧.

(٢) سورة الزخرف آية رقم (٥٧ ــ ٥٨).

(٣) سورة الأنبياء آية رقم (١٠١).

(٤) سورة الأنبياء آية رقم (٩٨،٩٩) انظر: تفسير ابن كثير٣/١٩٨، الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٤/٦٠٧، لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي (٤٣٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكما تصدى الله تعالى لهذه الشبهة، تصدى لها النبي ﷺ. فقد أخرج ابن جرير عن ابن إسحاق: أن النبي ﷺ قال لابن الزبعرى – حينما اعترض بهذا الاعتراض –: "كل من أحب أن يُعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرهم بعبادته" وأنزل الله (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) أي عيسى ابن مريم وعزير، ومن عبدوا من الأحبار والرهبان؛ الذين مضوا على طاعة الله، فاتخذهم مَنْ بعدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله[1].

وأخرج ابن جرير عن مجاهد وعكرمة وابن جريج والحسن وسعيد بن جبير وأبي صالح: أن الله تعالى عنى بقوله (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى) من عُبد من دون الله، وهو لله طائع، ولعبادة من يعبد كاره[2] وهذا التخصيص لا يمنع دخول غير من ذكر في هذه الآية، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وتقرير الجواب على هذه الشبهة – من خلال الرد الإلهي الكريم، والجواب النبوي البليغ –: أن (ما) في قوله تعالى (وما تعبدون) وإن كان للعموم، إلا هذا العموم لا يندرج تحته مَنْ زكاهم الله تعالى من الملائكة والأنبياء والصالحين؛ الذين عُبدوا من دون الله، وهم له طائعون، ولعبادة مَنْ عبدوهم كارهون. لأن هذا العموم قد خصص بالقرائن العقلية والنقلية والحالية والمقالية، التي تقضي بضرورة صرف الذين سبقت لهم الحسنى عن مثل هذا العموم، ووجوب المصير إلى التخصيص، فلا يدخل تحت هذا العموم – إذاً – مَنْ

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري ٩/ ١٠١، السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٩٤.

(٢) انظر تفسير ابن جرير الطبري ٩/ ١٠٠، ١٠١.

اعترض بهم المشركون من الملائكة وعيسى وعزير وغيرهم من الصالحين الذين عبدوا من دون الله.

وذلك لعدة قرائن: الأولى: عدم أمرهم بهذه العبادة، وعدم رضاهم عنها. والثانية: أن العقل والشرع يقضيان بعدم تعذيب أحد بجرم أحد، اللهم إلا أن يكون راضياً بهذا الجرم أو آمراً به. والثالثة: أن الله تعالى قد زكى الملائكة والأنبياء والصالحين في غير موضع من القرآن الكريم، وشهد لهم بحسن العاقبة، مما يستحيل معه أن يدخلوا تحت هذا العموم، فكيف يتصور عاقل أن يكون مآل هؤلاء الصفوة مع من هم حصب جهنم ؟! ثم كيف يتصور عاقل أن يتناقض هذا القرآن ــ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ــ مع نفسه ويكذب نفسه بنفسه، فيذكر مرة حسن مآل هؤلاء الصفوة، وأخرى يذكر سوء مآلهم، وحشرهم مع الكفار؟!....إلى غير ذلك من القرائن العديدة، والمتضافرة على التخصيص.

يقول الإمام الرازي ــ في أحد أجوبته على اعتراض المشركين ــ هب أنه ثبت العموم، لكنه مخصوص بالدلائل العقلية والسمعية في حق الملائكة والمسيح وعزير، لبراءتهم من الذنوب والمعاصي، ووعد الله إياهم بكل مكرمة، وهذا هو المراد بقوله **(إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ)** [1].

وعليه: فإن قوله تعالى **(وما تعبدون)** من قبيل العام الذي أريد به الخصوص قطعاً، وذلك لوجود القرائن العقلية التي تنفي بقاءه على عمومه، ثم جاء الدليل السمعي ــ وهو قوله تعالى **(إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك**

---

(١) مفاتيح الغيب للإمام الرازي ٢٠٨/١١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عنها مبعـــــدون) ــ مؤيداً للدليل العقلي ومؤكداً له، لأن قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَـٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) تخصيص للعموم الـوارد فـي قوله تعالى(إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) وهـو ــ كما يقول القاضي البيضاوي ــ تخصيص تأخر عن الخطاب. والتخـصيص بكلام مستقل متراخ جائز عند أكثر الأصوليين، وعلى رأسهم الشافعية. وعـدم تعرضه عليه السلام للدليل العقلي لا لعدمه، بل لأنه عليه الـسلام لمـا رآهـم أعرضوا عنه، ولم يلتفتوا إليه رد عليهم بما رد به.

ومن المفسرين من قال: إن (ما) تستعمل في اللغة لغير العاقل، فلا يدخل فيها ــ بالضرورة ــ الملائكة وعزير وعيسى وغيرهم من الأحبار والرهبـان، الذين مضوا على طاعة الله، فاتخذهم مَنْ بعدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله. وهو قول الإمام الرازي والعلامة الألوسي. وإليه ذهب ابـن كمـال باشـا والسمين الحلبي. قال الحافظ ابن كثير: وعول ابن جرير في الجواب علـى أن (ما) لما لا يعقل عند العرب[1].

المثال الثاني: أخبر الله تعالى في قرآنه الكريم أن طعام أهل النار هـو الزقوم ــ شجرة تخرج في أصـل النار ــ فقال تعالى **(إن شـجرة الزقـوم طعـام الأثيم)**[2] وقال سبحانه **(ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لأكلـون مـن**

---

(١) راجع تفسير البيضاوي (٤٤٦)، مفاتيح الغيب ١١/ ٢٠٨، روح المعاني للألوسي ١٧/ ١٤١، تفسير أبي السعود ٣/٧٢٧، تفسير ابن كمال باشا مخطوط بدار الكتب ورقة رقم (٥٠٣)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ٨/٢٠٦، تفسير ابن كثير ٣/١٩٩.

(٢) سورة الدخان آية رقم(٤٤).

عنها مبعـــــدون) ــ مؤيدا للدليل العقلي ومؤكدا له، لأن قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَـٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) تخصيص للعموم الوارد في قوله تعالى(إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) وهو ــ كما يقول القاضي البيضاوي ــ تخصيص تأخر عن الخطاب. والتخصيص بكلام مستقل متراخ جائز عند أكثر الأصوليين، وعلى رأسهم الشافعية. وعدم تعرضه عليه السلام للدليل العقلي لا لعدمه، بل لأنه عليه السلام لما رآهم أعرضوا عنه، ولم يلتفتوا إليه رد عليهم بما رد به.

ومن المفسرين من قال: إن (ما) تستعمل في اللغة لغير العاقل، فلا يدخل فيها ــ بالضرورة ــ الملائكة وعزير وعيسى وغيرهم من الأحبار والرهبان، الذين مضوا على طاعة الله، فاتخذهم مَنْ بعدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله. وهو قول الإمام الرازي والعلامة الألوسي. وإليه ذهب ابن كمال باشا والسمين الحلبي. قال الحافظ ابن كثير: وعول ابن جرير في الجواب على أن (ما) لما لا يعقل عند العرب[1].

المثال الثاني: أخبر الله تعالى في قرآنه الكريم أن طعام أهل النار هو الزقوم ــ شجرة تخرج في أصل النار ــ فقال تعالى **(إن شجرة الزقوم طعام الأثيم)**[2] وقال سبحانه **(ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من**

---

(١) راجع تفسير البيضاوي (٤٤٦)، مفاتيح الغيب ١١/ ٢٠٨، روح المعاني للألوسي ١٧/ ١٤١، تفسير أبي السعود ٣/٧٢٧، تفسير ابن كمال باشا مخطوط بدار الكتب ورقة رقم (٥٠٣)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ٨/٢٠٦، تفسير ابن كثير ٣/١٩٩.

(٢) سورة الدخان آية رقم(٤٤).

عنها مبعـــــدون) ــ مؤيداً للدليل العقلي ومؤكداً له، لأن قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَـٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) تخصيص للعموم الـوارد فـي قوله تعالى(إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) وهـو ــ كما يقول القاضي البيضاوي ــ تخصيص تأخر عن الخطاب. والتخـصيص بكلام مستقل متراخ جائز عند أكثر الأصوليين، وعلى رأسهم الشافعية. وعـدم تعرضه عليه السلام للدليل العقلي لا لعدمه، بل لأنه عليه الـسلام لمـا رآهـم أعرضوا عنه، ولم يلتفتوا إليه رد عليهم بما رد به.

ومن المفسرين من قال: إن (ما) تستعمل في اللغة لغير العاقل، فلا يدخل فيها ــ بالضرورة ــ الملائكة وعزير وعيسى وغيرهم من الأحبار والرهبـان، الذين مضوا على طاعة الله، فاتخذهم مَنْ بعدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله. وهو قول الإمام الرازي والعلامة الألوسي. وإليه ذهب ابـن كمـال باشـا والسمين الحلبي. قال الحافظ ابن كثير: وعول ابن جرير في الجواب علـى أن (ما) لما لا يعقل عند العرب[1].

المثال الثاني: أخبر الله تعالى في قرآنه الكريم أن طعام أهل النار هـو الزقوم ــ شجرة تخرج في أصـل النار ــ فقال تعالى **(إن شـجرة الزقـوم طعـام الأثيم)**[2] وقال سبحانه **(ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لأكلـون مـن**

---

(١) راجع تفسير البيضاوي (٤٤٦)، مفاتيح الغيب ١١/ ٢٠٨، روح المعاني للألوسي ١٧/ ١٤١، تفسير أبي السعود ٣/٧٢٧، تفسير ابن كمال باشا مخطوط بدار الكتب ورقة رقم (٥٠٣)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ٨/٢٠٦، تفسير ابن كثير ٣/١٩٩.

(٢) سورة الدخان آية رقم(٤٤).

شجر من زقوم)[1] فاتخذ المشركون من ذلك مادة للسخرية والاستهزاء، حتى قال أبو جهل لعنه الله: ما الزقوم إلا التمر بالزبد وأنا أتزقمه! وقال لجاريته ــ مرة ــ: زقمينا، فأتته بالزبد والتمر، فقال: تزقموا، فهذا ما يوعدكم به محمد!!

فرد الله تعالى عليهم رداً حاسماً مفحماً، فقال تعالى **(أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم إنا جعلناها فتنة للظالمين إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رءوس الشياطين فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم)** [2].

يقول الإمام الرازي: وظاهر لفظ القرآن يدل على أنها شجرة كريهة الطعم، منتنة الرائحة، شديدة الخشونة، موصوفة بصفات كل من تناولها عظم من تناولها، ثم إنه تعالى يُكْرِهُ أهل النار على تناول بعض أجزائها، وأنه جعلها فتنة للظالمين، حيث قال الكفار: كيف يعقل أن تنبت الشجرة في جهنم مع أن النار تحرق الشجر ؟ فصار سبباً في تماديهم في الكفر.

ثم قال ــ في تقرير الجواب على شبهة المشركين ــ: ومعلوم أنه إذا جاز أن يكون في النار زبانية ــ والله يمنع النار عن إحراقهم ــ فلِمَ لا يجوز مثله في هذه الشجرة ؟ وقال الواحدي: ومعلوم أن الله لم يرد بالزقوم التمر واللبن[3].

المثال الثالث: أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي ــ في البعث ــ عن البراء:

---

(١) سورة الواقعة آية رقم (٥٦).

(٢) سورة الصافات آية رقم(٦٢ ــ ٦٨) انظر تفسير الطبري ١٠/٥٤٧، تفسير ابن كثير ٤/ ١٠، لباب النقول (٦٥٨)، الدر المنثور ٥/ ٥٢٢، تفسير البغوي ٦/ ٢٣.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٥/٢٣٠ باختصار وتصرف..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن رهطاً من اليهود سألوا رجلاً من أصحاب النبي ﷺ عن خزنة جهنم ؟ فقال: الله ورسوله أعلم، فجاء، فأخبر النبي ﷺ فنزل عليه ساعتئذ (عليها تسعة عشر)[1].

وقد اتخذ المشركون من تحديد هذا العدد مادة للسخرية والاستهزاء، وعدوه قليلا في تعذيب أكثر الخلق، حتى قال رجل منهم: أنا أدفع عنكم بمنكبي الأيمن عشرة، وبمنكبي الأيسر عشرة. وقال أبو جهل: أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم ؟! وقال آخر: أنا أكفيكم سبعة عشر منهم، فاكفوني أنتم اثنين.

وهنا جاء الرد البليغ من الحكيم الخبير، فقال تعالى (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر)[2].

فالحكمة من تحديد هذا العدد – والله أعلم – هو الاختبار والامتحان، حتى يكون ذلك فتنة للكافرين – بتماديهم في الكفر – وليستيقن الذين أوتوا الكتاب – لوجود هذا العدد في كتابهم – ويزداد الذين آمنوا إيماناً، لأنهم يفوضون حكمة العدد المعين إلى علم الخالق سبحانه.

---

(١) سورة المدثر آية رقم (٣٠).

(٢) سورة المدثر آية رقم (٣١) انظر تفسير الطبري ١٢/٢٢٥، تفسير ابن كثير ٤/ ٤٤٤، لباب النقول (٢٢٥)، الدر المنثور ٨/ ٤٥١، تفسير البغوي ٨/ ٤٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المثال الرابع: أخرج الإمام مسلم عن المغيرة بن شعبة قال: لما قدمت نجران سألوني، فقالوا: إنكم تقرؤون **(يا أخت هارون)** [1] وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ؟! فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك، فقال "**إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم، والصالحين منهم**"[2].

إلى غير ذلك من الأمثلة العديدة التي تفصح عن وقوع الدخيل في التفسير ــ عن قصد خبيث وسوء نية بسبب الإلحاد المتعمد ــ وهي أمثلة كثيرة لا تحتملها هذه العجالة، فليس القصد هنا ــ كما ذكرت سابقاً ــ هو استقصاء هذه الأمثلة، وإنما الغرض هو عرض بعض النماذج التي تفصح عن وقوع هذا اللون من ألوان الدخيل في التفسير في حياته عليه السلام. والله تعالى أعلم.

****

كما كان للباطنية [3] أثر سيء في انتشار هذا النوع من أنواع الدخيل، وذلك أنهم يَدَّعُونَّ أن النصوص الشرعية لها بواطن تجري من الظواهر مجرى اللب من القشر، وهي عند العقلاء رموز وإشارات إلى حقائق خفية. ومرادهم ــ

---

(١) سورة مريم آية رقم (٢٨).

(٢) صحيح مسلم كتاب الآداب باب النهي عن التكني بأبي القاسم، وبيان ما يستحب من الأسماء ٦ / ٣٦٩.

(٣) الباطنية: اسم يطلق على جماعات متعددة من غلاة الشيعة، كالإسماعيلية والقرامطة والرافضة. وسموا بالباطنية لاشتراكهم في مبدأ التأويل الباطني للنصوص الشرعية. وهذه الطائفة ــ في الأصل ــ جماعة من المجوس، الذين اعتنقوا الإسلام في الظاهر، وهم يضمرون الكفر والكيد للإسلام وأهله، وكان مبدأ ظهور هذه الطائفة في زمن المأمون، وانتشرت في زمن المعتصم. الفرق بن الفرق للبغدادي (٢٨٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من ذلك ــ أن ينزعوا من العقائد موجب الظواهر، حتى يصلوا ــ بعد ذلك ــ إلى إبطال الشرائع[1].

والهدف الرئيسي لهذه الطائفة: هو صرف المسلمين عن القرآن الكريم، بواسطة تأويله، وصرف ألفاظه وآياته عن مدلولاتها الظاهرة، ليصلوا من وراء ذلك إلى غاية خبيثة، هي هدم الإسلام، والقضاء على شريعته.

فالوضوء ــ عند هؤلاء ــ عبارة عن موالاة الإمام. والصلاة: عبارة عن الرسول. والغسل: هو تجديد العهد لمن أفشى سراً من أسرارهم عن طريق الخطأ. والكعبة والصفا: محمد ﷺ والباب والمروة: علي رضي الله عنه. والجنة هي راحة الأبدان من التكاليف، والنار هي مشقة النفس بمزاولة التكاليف[2].

وأقوالهم في تفسير القرآن كلها كفر وإلحاد. ومن ذلك: تفسيرهم لليدين في قوله تعالى {**تبت يدا أبي لهب وتب**}[3] بأنهما أبو بكر وعمر. وأن المراد من قوله{**إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة**}[4]عائشة. ومن قوله {**فقاتلوا أئمة الكفر**}[5]طلحة والزبير. وأن البحرين في قوله {**مرج البحرين يلتقيان**}[6]علي وفاطمة. وأن اللؤلؤ والمرجان في قوله {**يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**}[7] الحسن

---

(١) انظر تلبيس إبليس لابن القيم (٩٩).

(٢) انظر التفسير والمفسرون ٢/ ٢٤١، نقلاً عن فضائح الباطنية للغزالى (١٣).

(٣) سورة المسد آية رقم (١).

(٤) سورة البقرة آية رقم (٦٧).

(٥) سورة التوبة آية رقم(١٢).

(٦) سورة الرحمن آية رقم (١٩).

(٧) سورة الرحمن آية رقم (٢٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والحسين[1]. فتأويلهم للقرآن تأويل فاسد، لا يقوم على أساس، ولا يستند إلى برهان، وإنما هي أوهام وأباطيل، غرروا بها ضعاف العقول، ليسلخوهم من الدين، وليدخلوهم في زمرة الملحدين، وحزب الشياطين[2].

****

وفي القرن التاسع عشر الميلادي ظهرت فرق البابية والبهائية والقاديانية[3]. وتمسحوا في الإسلام ــ مع أنهم بعيدون كل البعد عنه ــ وفسروا القرآن وفق أهوائهم، فكان تفسيرهم قائماً على الكفر والإلحاد. وقد رجعوا إلى القرآن الكريم ليأخذوا منه الشواهد على دعواهم الباطلة ومذاهبهم الفاسدة، تمويهاً على العامة وتغريراً بعقولهم.

فمن تأويلاتهم الباطلة: تفسير الباب لقوله تعالى { **إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَأَبتِ إِنّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ** }[4] قال: قصد الرحمن من ذكر يوسف: نفس الرسول، وثمرة البتول؛ حسين بن

---

(١) مقدمة أصول التفسير لابن تيميه (٢٩).

(٢) التفسير والمفسرون ٢/٢٥٢.

(٣) **القاديانية**: نحلة ضالة ظهرت بالهند في القرن التاسع عشر الميلادي على يد رجل يدعى الميراز غلام أحمد القادياني. **والبابية**: نحلة ضالة ظهرت في القرن التاسع عشر الميلادي ببلاد فارس على يد رجل يدعى الميراز على محمد الشيرازي الملقب بالباب، وقد أعدم مؤسس هذه الحركة سنة (١٨٥٠) هـ **والبهائية**: نحلة ضالة ظهرت في القرن التاسع عشر الميلادي ببلاد فارس على يد رجل يدعى الميراز حسين على الملقب بالبهاء. وهذه الحركة امتداد للبابية. انظر إسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة (٣٧٥)، التفسير والمفسرون للذهبي ٢/٢١١.

(٤) سورة يوسف آية رقم (٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

علي بن أبي طالب مشهوداً.... إذ قال حسين لأبيه يوما: إني رأيت أحد عشر كوكباً، والشمس والقمر رأيتهم بالإحاطة على الحق لله القديم سجداً... وأن الله قد أراد بالشمس: فاطمة. وبالقمر: محمداً وبالنجوم: أئمة الحق في أم الكتاب معروفاً، فهم الذين يبكون على يوسف بإذن الله، سجداً وقياماً[1].

ومن تحريف القاديانية: إنكارهم أن يكون محمد ﷺ خاتم النبيين، مستدلين على ذلك بقوله تعالى {الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس}[2] محتجين في ذلك بأن الفعل (يصطفي) مضارع، والمضارع للاستقبال، فهو يفيد تجدد الإرسال بعد محمد ﷺ.

ومعلوم أن هذا الاستدلال تحريف للكلم عن مواضعه، لأنه يتعارض مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة من أن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين. ومعلوم كذلك أن هذه شبهة واهية، لأن الفعل الواقع في الماضي قد يعبر عنه بصيغة المضارع لمقتضيات، منها استحضار الصورة العجيبة في ذهن السامع، ومنها إفادة التجدد والاستمرار. وقد جاء التعبير هنا بالمضارع ليدل على معنى زائد على أصل الاصطفاء الذي يدل عليه الماضي، ويقف عنده. وذلك المعنى هو أن اصطفاء الرسل كان يتجدد ويقع مرة بعد أخرى، حتى كان آخر المصطفين رسول ﷺ بدليل قوله تعالى {وخاتم النبيين}[3] وقوله ﷺ "أنا العاقب، فلا نبي بعدي"[4].

---

(١) التفسير والمفسرون ٢/٢٦٥.

(٢) سورة الحج آية رقم (٧٥).

(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٤٠)

(٤) راجع القاديانية والبهائية للشيخ محمد خضر حسين (١٢، ١٣) والحديث أخرجه البخاري

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

علي بن أبي طالب مشهوداً.... إذ قال حسين لأبيه يوما: إني رأيت أحد عشر كوكباً، والشمس والقمر رأيتهم بالإحاطة على الحق لله القديم سجداً... وأن الله قد أراد بالشمس: فاطمة. وبالقمر: محمداً وبالنجوم: أئمة الحق في أم الكتاب معروفاً، فهم الذين يبكون على يوسف بإذن الله، سجداً وقياماً[1].

ومن تحريف القاديانية: إنكارهم أن يكون محمد ﷺ خاتم النبيين، مستدلين على ذلك بقوله تعالى {**الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس**}[2] محتجين في ذلك بأن الفعل (يصطفي) مضارع، والمضارع للاستقبال، فهو يفيد تجدد الإرسال بعد محمد ﷺ.

ومعلوم أن هذا الاستدلال تحريف للكلم عن مواضعه، لأنه يتعارض مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة من أن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين. ومعلوم كذلك أن هذه شبهة واهية، لأن الفعل الواقع في الماضي قد يعبر عنه بصيغة المضارع لمقتضيات، منها استحضار الصورة العجيبة في ذهن السامع، ومنها إفادة التجدد والاستمرار. وقد جاء التعبير هنا بالمضارع ليدل على معنى زائد على أصل الاصطفاء الذي يدل عليه الماضي، ويقف عنده. وذلك المعنى هو أن اصطفاء الرسل كان يتجدد ويقع مرة بعد أخرى، حتى كان آخر المصطفين رسول ﷺ بدليل قوله تعالى {**وخاتم النبيين**}[3] وقوله ﷺ "**وأنا العاقب، فلا نبي بعدي**"[4].

---

(١) التفسير والمفسرون ٢/٢٦٥.

(٢) سورة الحج آية رقم (٧٥).

(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٤).

(٤) راجع القاديانية والبهائية للشيخ محمد خضر حسين (١١، ١٢) والحديث أخرجه البخاري

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمـــــة

نتائج وتوصيات

نستطيع أن نقول ـ من خلال هذه الدراسة ـ أن تراثنا في التفسير لـم يسلم ـ على اختلاف مناهجه ـ من الدخيل، وأن البعض منه كان عـن قـصد حسن، وأكثره كان عن قصد خبيث. مما يوجب ذلك بالضرورة على كـل مـن يريد أن يفسر القرآن الكريم أن يبذل منتهى المجهود في تحصيل العلوم، وإتقان اللسان، ولزوم التقوى، وغير ذلك من كل ما لابد منه مسبقاً لـصحة التعـرض لتفسير القرآن الكريم.

كما أنه يجب على المسلمين عامة، وعلى علماء الأزهر خاصة أن ينقوا كتب التفسير من كل ما علق به من الدخيل، وذلك بدراسة كل ما لدينا من كتـب التفسير دراسة وافية شافية، تكشف لنا عما في كل كتاب من كتب التفسير مـن دخيل، فإذا فعلوا ذلك فقد أدوا أقدس واجب وقاموا بأجل عمل.

ونحمد الله تعالى أن ذلك قد كان، فقد قيض الله تعالى لشريعته الغراء ـ من كتاب وسنة ـ منذ أول العهد بها، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها من ينفي عنها تأويل الجاهلين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين.

فقد تصدى أصحاب النبي ﷺ من قبل، ومنذ هذا العهد المبكـر لكافـة الألوان الدخيلة في التفسير وغيره. وترسم علماء الأمة خطى أولئـك الـصفوة الكرام من صحابة رسول ﷺ فلزموا غاية الاحتياط والاستيثاق، والتثبت في نقل

حكتاب المناقب باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ٣/ ١٤١ ومسلم كتاب الفضائل ٤/ ١٨٢٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرواية وتلقيها.

وقام العلماء الأجلاء ـ في العصر الحاضر ـ بدور بارز في التنبيه على ما في كتب التفسير من الدخيل. وكان للأزهر الشريف ـ ولا يزال ـ الحظ الأوفر والباع الأطول في ذلك الشأن. فقد نال الدخيل في التفسير ـ منذ سنوات ـ العناية الفائقة من هذه الجامعة العريقة. وأصبح مادة مقررة برأسها تُدرسُ في قسم التفسير وعلوم القرآن، ألف ويؤلف فيه العديد من الرسائل العلمية، بهدف تنقية كتب التفسير من الدخيل. وصدق الله العظيم حيث يقول **{إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}**[1].

ثم بحمد الله وتوفيقه ما تيسر لي بحثه وجمعه من هذا البحث، أسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن ينفع كل قارئ بما كتبنا، وأن يجعله في ميزان حسناتي، خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا

إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

.....

---

(١) سورة الحجر آية (٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المراجـــع والمصـــادر

أولاً القرآن الكريم.

ثانياً التفسير وعلوم القرآن

١ ـ الإتقان في علوم القرآن للحافظ السيوطي. دار الفكر.

٢ ـ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للشيخ محمد أبو شهبة. مجمع البحوث الإسلامية.

٣ ـ إعراب القرآن للنحاس. عالم الكتب بيروت.

٤ ـ الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير. مطبـــوع مـــع الكشاف.

٥ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي. مكتبة أسامة الإسلامية.

٦ ـ البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي. مطبعة السعادة مصر.

٧ ـ البرهان في علوم القرآن للزركشي. دار التراث القاهرة.

٨ ـ التبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب. الدارالسلفية الهند.

٩ ـ تفسير البغوي. دار المعرفة بيروت.

١٠ ـ تفسير ابن كمال باشا. مخطوط بدار الكتب المصرية برقم(٥٠٣) تفسير.

١١ ـ تفسير أبي السعود. دار الفكر العربي بيروت.

١٢ ـ تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير. المكتبة التوفيقية مصر.

١٣ ـ تفسير القرطبي. دار الغد العربي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٤ ـ التفسير والمفسرون للشيخ محمد حسين الذهبي. دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٥ ـ جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري. دار الفكر.

١٦ ـ حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي. مخطوط بالمكتبة الأزهرية رقم (٧٦) ٢٩٦٧.

١٧ ـ حاشية الشهاب على البيضاوي. مؤسسة التاريخ الإسلامي.

١٨ ـ الدخيل في التفسير للدكتور إبراهيم خليفة. دار الحسين.

١٩ ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي. دار القلم دمشق.

٢٠ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي. دار الكتب العلمية.

٢١ ـ روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني للعلامة الألوسي. دار الفكر بيروت.

٢٢ ـ السبعة في القراءات لابن مجاهد. دار المعارف بيروت.

٢٣ ـ الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري. دار الكتب العلمية بيروت.

٢٤ـ لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي. مطبعة الأنوار المحمدية على هامش تفسير الجلالين.

٢٥ ـ المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي. دار الكتب العلمية.

٢٦ ـ مفاتيح الغيب للإمام الرازي. دار الفكر العربي.

٢٧ ـ مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية. دار الفكر العربي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٨ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني. دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي.

٢٩ ـ النشر في القراءات العشر لابن الجزري. مكتبة القاهرة.

ثالثاً الحديث وعلومه:

١ ـ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للحافظ السيوطي. مكتبة النجاح بيني سويف.

٢ ـ سنن أبي داود. دار الحديث القاهرة.

٣ ـ سنن الترمذي. دار الكتب العلمية بيروت.

٤ ـ السنن الكبرى للبيهقي. حيد اباد الهند.

٥ ـ سنن النسائي. دار الكتب العلمية بيروت.

٦ ـ صحيح الإمام البخاري. المكتبة السلفية.

٧ ـ صحيح الإمام مسلم. دار المعرفة بيروت.

٨ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني. المكتبة السلفية.

٩ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي. دار الكتب العلمية.

١٠ ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري. دار الكتاب العربي بيروت.

١١ ـ مسند الإمام أحمد. المكتب الإسلامي بيروت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خامساً العقيدة وعلم الكلام:

١ ــ إسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة.

٢ ــ تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي.

٣ ــ تلبيس إبليس لابن القيم.

٤ ــ الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي. مكتبة التراث.

٥ ــ القاديانية والبهائية للشيخ محمد خضر حسين.

٦ ــ مذاهب الإسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوي. دار العلم.

سادساً اللغة والبلاغة والأدب:

١ ــ ارتشاف الضرب من كلام العرب لأبي حيان الأندلسي. مطبعة الميدان.

٢ ــ الخصائص في النحو لابن جني. الهيئة المصرية العامة.

٣ ــ شرح الجمل لابن عصفور

٤ ــ شرح الرضى على الكافية. منشورات مؤسسة الصادق.

٥ ــ شرح المفصل لابن يعيش.

٦ ــ شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك. عالم الكتب بيروت.

٧ ــ الصحاح في اللغة للجوهري.

٨ ــ القاموس المحيط للفيروز ابادي. دار الجيل بيروت.

٩ ــ لسان العرب لابن منظور. دار لسان العرب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٠ ـ مفردات غريب القرآن للراغب الأصفاني.

سابعاً السير والتراجم والتاريخ:

١ ـ الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني.

٢ ـ الأعلام للزركلي. دار العلم للملايين.

٣ ـ السيرة النبوية لابن هشام. دار التراث العربي.

****

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner